مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٨

من أدب الشرق والغرب

فوزى عبد القادر الميلادى



كتاب الشباب

من أدب المشرق والمغرب

بقلم المستشار

فوزى عبد القادر الميلادى



مهرجان القراءة للجميع ٩٨

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(كتاب الشباب)

من أدب المشرق والمغرب

فوزى عبدالقادر الميلادى

الغلاف:

الإشراف الفنى:
للفنان محمود الهندى

المشرف العام

د. سمير سرحان

الجهات المشاركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة التنمية الريفية

المجلس الأعلى للشباب والرياضة

التنفيذ: هيئة الكتاب

مصر

محمود تيمور والمسرحية القصيرة

بسم الله الرحمن الرحيم

محمود تيمور والمسرحية القصيرة

اللغة الفصحى هى اللغة المناسبة للطبع والنشر ... واللغـة العامية هى اللغـة التى تلائم الأداء المسرحى والاذاعى ... الخ . تلك هى فلسفة محمود تيمور فى مشكلة اللغة فى العمل المسرحى فالعرب على حد قوله أهل لغتين لغـة كتابة وتدوين والأخرى لغـة حديث وخطـاب أما الأولى فيشترك فيهـا العرب على تباين مواطنهم من قديم وحديث وأما الأخرى فتختلف فيهـا اللهجات بين موطن وموطن وبين عصر وعصر .

من أجل ذلك حرص الأديب الكبير على أن ينشر جل مسرحياته وعلى الأخص الاجتماعية منها بلغتين في وقت واحد فيضم الكتاب نسخة من المسرحية بالفصحى وأخرى بالعامية •

وعلى هذا الدرب سار تيمور زمنا طويلا حتى عن له أخيرا أن يجمع مسرحياته القصيرة التي نشرها متفرقة ومن قبل بين دفتي كتاب واحد •• ويبدو أنه استشعر ضخامة حجم الكتاب اذا نشره باللغتين معا •• فآثر أن ينشره بلغة واحدة •• ولم تكن كما قد يتوقع الكثيرون الفصحى •• ذلك أن الأديب المجمعي رأى أن يبدأ بنشر المجموعة باللغة العامية واعدا القراء أن ينشر النسخة الفصحى منها في وقت قريب حتى لا تظل حبيسة نطاق محدود في بلد عربي واحد •• وقد برر هذا الاتجاه بأن المسرحيات التي يضمها الكتاب هي من المسرحيات « ذوات الموضوعات العصرية والجو المحلي » •

وآثر الأستاذ تيمور أن يسير في الشوط الى النهاية فجعل لمجموعته عنوانا عصريا فأطلق عليها

« خمسة وخبسة » وبحثت عن الخسة والخميسة بين مسرحات المجموعه الست فلم أجدها •• وفى نهاية الأمر اكتشفت السر فى تسمية المجموعة بهذا الاسم الرنان ـ أو هكذا على الأقل هبىء لى فالخمسة يعنى بها المسرحات الخمس الأولى أما الخمسية فهى المسرحة السادسة « برقبة » التى وردت فى ختام الكتاب فى ثلاث ورقات ونصف فقط لاغر •

وليست « لغة الحوار » هى الفارق الوحبد بين مسرحيات تيمور الاجتماعية ومسرحياته التاريخية التى نشرها بلغة واحدة هى اللغة الفصحى •• ذلك أن من يمعن النظر فى كلا النوعين من المسرحيات يسترعى انتباهه فارق هام فى البناء الفنى للمسرحية •

فتيمور عندما يكتب مسرحية اجتماعية •• يختار بدقة ومهارة شخصياته من بين النماذج البشرية التى تعيش فى مجتمعنا المعاصر ويدفع بهذه الشخصيات الى بعض المواقف الحرجة أو الطريفة •• وما ان تبدأ الشخصيات فى الاندماج فى المسرحية حتى يتركها تسير

فى طريقها الطبيعى الذى تسير فيه الحياة الاجتماعية ويقف بعيدا يصور بعدسته الفوتوغرافية حركاتها وسكناتها وخلجاتها ويلتقط ما يدور على لسانها من حوار متدفق .. ويخرج فى النهاية بشخصيات رسمت بعناية فائقة وبحوار يتسم بالصدق والبساطة وبتحليل بارع للنفس البشرية فى مختلف حالاتها .. ولكن قليلا ما يخرج بعمل مسرحى متكامل .. ولعل أصدق مثال على ذلك مسرحيته الاجتماعية المخبأ رقم ١٣ .. فالمسرحية من أولها الى آخرها تدور حول تصوير مشاعر مجموعة من البشر يعيشون لحظات الرعب والهلع فى مخبأ يقيهم من الغارات الجوية .. والمسرح بعد ذلك ليس لها هدف محدد تشير نحوه ولا يرتبط أبطالها الا بأوهى الروابط التى تجمع مجموعة متنافرة من الناس التقت على غير موعد فى ظروف عصيبة ورغم ذلك كله فالمسرحية صورة بارعة ناطقة لأدق خفايا النفس الانسانية وهى تتأرجح بين الخوف والرجاء عندما يفزعها نذير الموت ويهدىء من روعها بشير الأمان .

أما المسرحيات التاريخية فقد أولاها تيمور عناية

تفوق بكثير عنايته بالمسرحيات الاجتماعية فهو يختار لمسرحياته أبطالا يتسمون بالجرأة والشجاعة (عبدالرحمن الداخل ــ امرؤ القيس ــ الحجاج ــ عنترة) ويختار لقطات هامة من سيرتهم يمتزج فيها الواقع التاريخى بمحن وأعاصير تجتاح حياتهم الاجتماعية والسياسية ..
ومن خلال صراعهم مع الأحداث والاعداء .. تعسر المسرحيات بالحركة وتنبض بالحياة .

والمؤلف لا يملك أن يترك أبطاله هنا سيرون ببساطة فى الطريق الذى اختاروه لأنفسهم ويكتفى بموقف التسجيل الفوتوغرافى .. لأنه لو فعل ذلك لخرجت المسرحيات من نطاق الفن والأدب الى مجال السياسة والتاريخ ولجاءت مسرحياته تسجيلا صادقا لأحداث التاريخ فحسب ولكنه ظل يتعهد أبطاله بالعناية والرعاية منذ السطور الأولى وعمد الى تطوير الشخصيات وخلق المواقف العصيبة بل أوجد شخصيات ليس لها أثر فى كتب التاريخ ومع ذلك فقد وجدت مجالها الطبيعى فى سير الأحداث حتى يخيل للقارىء أن

هذه الشخصيات قد وجدت وعاشت فعلا هذه الأحداث ولعل أصدق مثال على ذلك شخصية الاهوازيه التى كان لها أكبر الأثر فى تطوير الأحـداث فى مسرحيـة « ابن جلا » .

من أجل ذلك جاءت مسرحيات تيمور التاريخيـة (صقر قريش ــ اليوم خمر ــ ابن جلا) قمة انتاجـه المسرحى وتختلف عن هـذه المكانه مسرحية (حواء الخالده) التى ترسم صورة من حياة عنترة لأن الطـابع الاجتماعى غلب على جو المسرحية فعنى المؤلف برسم الشخصـيات وتحليلها أكثر مما عنى باحـكام البنـاء المسرحى .

وكنت أود أن يكون بداية حديثى عن مسرحيات تيمور هو عن مسرحياته التاريخيـة لكننى آثرت أن أخصص هذا المقال لمسرحياته القصـيرة التى تضمنتها مجموعة « خمسة وخميسة » لأنه أحدث مؤلف مسرحى صدر له ولأن عنايته بجمع هذه المسرحيات واعادة طبعها ونشرها على هـذا النحو يدل على أنه يولى مسرحياته

اهتماما خاصا من الواجب آن يقابله اهمام من النقاد والدارســين •

والآن الى مسرحيات الكتاب •••

« حكمت المحكمة » اولى مسرحيــات المجموعه تروى قصــه قرويــه (نظيمــه) متزوجــه من جزار (حفنــاوى) وقــد رزقت منه ثلاث بنــات تباعا •• ولمــا حملت فى المره الرابعه انذرها بأنه لن يطيق أن يكون المولود الرابع انثى وآنه اذا حدث ذلك فسيذبح البنت فور ولادتها على باب البيت •• وطوال أيــام الحمل كان لا يفتأ يكرر وعيده ملوحا بسكينه الطويلة التى يحملها بحكم مهنته فى غدوه ورواحه •

ويأتى اليوم الموعود وتضــع نظيمة وليدها فاذا به أنثى •• وتتزاحم الخواطر فى رأســها ويتملكهــا الرعب •• وتزيد الحاجة خطوة القابلة من رعبها فتؤكد لها أن زوجها الجزار لن يتورع عن أن ينفذ وعيده •• وتلعب الريح بالباب فيخيل للزوجة أن زوجهــا مقبل لا محالة لاتمام عملية الذبح فيرتعش جسدها من الخوف

وتأخذ البنت الصغيرة وتجرى بسرعة تاركة البيت وكلما أسرعت فى سيرها هيىء لها أن زوجها يطاردها والسكين فى يده ويصرخ طالبا منها الوقوف والامتثال لأمره .. وتدخل المرأة مزارع القطن وهى تحتضن ابنتها الوحيدة ولايزال يرن فى أذنها صـــوت زوجها يناديها فتهرع الى الساقية وتقف أمامها ثم تفتح ذراعيها وتقول فى وديعة الله يا بنتى فتسمع صوتا لارتطام البنت بالقادوس ... وفى الصباح يعثر الخفير على البنت فاقدة الحيـــاة فى الساقية وعلى الأم نائمـــة بجوار الساقية وتساق الأم الى التحقيق وأمـــام وكيل النيابة يبدأ التحقيق ويبدأ حوار المسرحية .

يسألها وكيـــل النيابة عن واقعـــة رمى بنتها فى الساقية ..فتتعجب لهذه التهمة أشد العجب وتتســـاءل كالمذهولة هل من المعقول آن تقتل آم ابنتها .. لقد كانت البنت على حد تعبيرها (عيونها خضر زى البرسيم البدرى وشعرها أسود ناعم زى القطيفة الخفافى .. ووشها أبيض زى القشطة الصابحة) ويقاطعها الخفير

من وقت لآخر فيدخل معه فى مشادة تتهمه فيها بالكذب والضلال .. وفى نوبه ذهول تروى فى كلمات منقطعة القصة كما عرضناها .. ويطمئن المحقق الى أنه أتم مهمته باعتراف الام الكامل بالجريمه وملابساتها لكنه يفاجيء بها بعد ذلك تستغرق فى غيبوبة قصيرة تفيق بعدها وهى لا تذكر شيئا مما قالته .. بل ولا تعرف لماذا توجد فى ذلك المكان .. وتتساءل اين هى فيجيبها الخفير فى غلظة (انتى فى النيابه .. قدام حضره الباشا) فتصيح مذعورة (النيابه .. النيابة ليه .. سرقت سريقة .. قتلت قتيل ..) فيجيبها وكيل النيابة (أيوه قتلتى بنتك) فتصيح (بنتى . ؟ . ؟) ولما يعجب المحقق من انكارها المفاجيء بعد أن اعترفت صراحة أمام الجميع بفعلتها تهمهم (انكر .. انكر ازاى .. انكر ليه .. بقى حاصدق نفسى واكذبكم كلكم يا حضرة القاضى .. عيب .. عيب ..) وعلى هذا المنوال من الانكار الممزوج بالاعتراف أو الاعتراف المشوب بالانكار يسير الحوار فى المسرحية .. وفى النهاية تطأطيء رأسها

فى استسلام ثم ترفعها بغتة وتدور بنظرات متحيرة تلسع خيالا وتصيح (أنا أقتل بنتى .. بصوا لى كويس .. أنا وش قتل يا ناس يا أهل الخير .. قولوا كلمة عدل .. مافيش حد فيكوا يحب الحق .. بقى تمسكونى وتقولوا على انى قاتلة وتسيبوه هو الجزار اللى ايديه تسلى فى الدم .. يا ناس قولوا لى بتعملوا فى كده ليه .. فهمونى الحكايه ايه . فين البنت .. ما تتكلموا ونحكوا لى اللى حصل ..) .

وتستمر فى صياحها حتى تختم أقوالها والمسرحية كلها بهذه الكلمات (الحفناوى قتل العروسة الصغيرة أم عيون خضر وشعر أسود هو ده يخلص من الله .. الله لا يسامحك يا حفناوى ربنا يسلط عليك اللى ينتقم منك) .

هذه المسرحيه ــ فى اعتقادى ــ كانت فى الأصل قصه قصيرة عاشت فى ذهن تيمور أو فى ادراج مكتبه ولما رأى أن يخرجها الى النور استهواه الحوار الذى ينبع من صميم المأساة التى تعيشها الأم الثكلى التى

بلغ بها الحرص على ابنتها مبلغا طغى على كل ما عداه حتى انزلقت فى نهايه الامر الى رميها فى الساقيه فى لحظة ذهول أو جنون وهى تظن أنها بذلك تباعد بينها وبين أبيها الذى يعتزم ذبحها بالسكين •

أقول استهوى تيمور هـذا الحوار الطريف الذى انساب على لسان القرويه الساذجه فآثر أن ينسحب كقصصى من الساحة وأن يطلق للقرويه العنان فى التعبير عن خلجات نفسها يبادلها الحديث من وقت لآخر محقق ذكى متزن تمرس بالقضايا والتحقيقات ويقاطعهـا من لحظة لأخرى خفير نظامى يظهر الولاء للسلطة ممثله فى وكيل النيابه والتشدد مع المتهمين بخرق القانون •

وعلى هذا النحو جاءت المسرحيه حوارا قصصيا أو قصة حوارية •• فهى وان كانت تمثل لقطة انسانية بديعة الا أنها مع ذلك تفتقر الى كثير من مقومات العمل المسرحى •

فالمسرحية تصور موقفا ولا تعالج موضوعا تصور موقف انسانه حزينة ذاهلة أمام سلطان القانون وقـد

اختلت فى ذهنها الصور والأفكار والمعايير ولايمكن القول بأنها تعالج موضوعا متكاملا •• حتى ولو كان هذا الموضوع هو مشكلة انجاب البنات فى الريف وموقف الآباء والامهات منها فالمسرحية لم تعرض جذور المشكلة •• لماذا يعارض الآباء فى انجاب البنات •• وما هو موقف المجتمع الريفى من هذه المشكلة بصفة عامه •• كما لم تبرز الحلول المناسبه لها •• وما كان للمسرحيه أن تتضمن شيئا من ذلك فى الاطار الذى قدمت فيه •• فالمؤلف لم يظهر شخصية الزوج ولا القابلة على مسرح الأحداث اطلاقا كما جاء مسرح الأحداث نفسه قاصرا على حجرة وكيل النيابة وكان فى امكان المؤلف أن يعرض صورا من الحياة فى الريف يعرض مناظر من منزل الزوجة والحقل والساقية خلال الحوار الذى دار فى حجرة التحقيق باستعمال بعض الجمل المسرحية المعروفة •• والمسرحية على هذا النحو يمكن اعتبارها شريحة أو مشهدا من مسرحية ذات فصل واحد متعددة المشاهد والكلام عن الموضوع يسوقنا الى الحديث عن الحركة وتطوير الشخصيات فكلام

المرأة القروية وان كان ينبض بالحرارة الا أن حديثها لم يستطع ان يبعث الدفء والحياة فى حوار وكيل النيابه والخفير النظامى وفى تصرفاتهما •• فجاءت المسرحيه رتيبه خالية من الحركه والحياة •

شخصيتا وكيل النيابه والخفير قطعا شخصيتان سلبيتان غير مطورتين •• شخصية الام تطورت خلال مناقشه وكيل النيابه لها وخرجت من مرحله الذهول والانكار الى مرحله الاعتراف •• ولكنها قبيل نهاية المسرحيه تعود فتلبس ثوبها الأول ثوب الذهول والانكار وان كان هذا الثوب قد اصطبغ بصبغة جديدة •• الاستسلام للمقادير بعد أن أفلت لسانها دون وعى منها بأسرار الجريمة •• ومن ثم فيمكن القول بأن شخصية الأم قد تطورت تطورا جزئيا •

والذى يستلفت النظر رغم ذلك كله ان محمود تيمور استطاع أن يرسم صورة صادقة لبعض النماذج البشرية التى تعيش فى القرى والكفور واستطاع بمهارة أن يغوص الى أعماقها ليكشف عن خباياها

ومجاهلها فجاءت شخصيات المسرحيه واضحة كل الوضوح وجاء الحوار الذى أرسله على لسان القروية بالذات طبيعيا ومقنعا انظر اليه وهو يصور اللحظات السابقة على ارتكاب الجريمه كما روتها الأم المتهمة فى التحقيق (بعد ما ولدت والذى منه والعيال ناموا سابتنى الحاجة فطومة وروحت قمت لقيت نفسى مش طايقة اقعد فى البيت •• كنت حطه البنت فى حجرى وعماله أهزها وكل الهوا ما يزق الباب قلبى يطب أقوم منطورة ويتهيأ لى أن الحفناوى داخل والسكينة الحامية فى ايده •• وبعدين سمعت حس من بعيد قلت أهو الحفناوى جه من دوار العمدة بصيب لقيت نفسى خارجة من الدار على طول وأنا مخبية البنت فى عبى •• كانت نايمة يا حبة عينى خرجت أجرى وكانت الدنيا ضلمة كحل •• وفضلت أجرى زى الحرامية لحد ما دخلت غيط القطن وأنا حاضنة البنت على صدرى •••) •

وانه لئن كانت المسرحية قد جاءت خالية من صراع حقيقى بين شخصياتها الا أن المؤلف أجاد تصوير الصراع الداخلى الحاد الذى دار فى أعماق القروية

الساذجة وهى ترى تصرفها الطائش يوردها كما أورد بنتها التهلكة وهى لا تصـــدق أن هذه البنت الحلوة الجميلة ذات العيون الخضر والوجه الصبوح قد ماتت فعلا وأصبحت مجرد ذكرى •• بل انها تشفق من أن يكون قد أصابها أى مكروه على يد الوالد القاسى اللعين وتطلب من الحاضرين أن يبعثوا الى قلبها الاطمئنـــان بأن شيئا من ذلك لم يحدث وأن الطفلة الحلوة •• بخير وعافيـــة لم ينلها أذى وينتهى هـــذا الصراع بخبـــل أو جنون وقتى أو دائم يصيب المرأة البائسة وهى تقف موقف المتهمة •

هـــذه القدرة على رسم الشخصـــيات وتصـــوير الصراع الداخلى فى أعماق النفس البشرية هى أخص خصائص تيمور وهى لا تفارقه عندما يتحول أحيانا الى اللون المسرحى ولعل هـــذه القـــدرة هى التى جعلت بعض مسرحياته الاجتماعية تأخذ بمجامع القلوب رغم توافر مقومات البناء المسرحى لها •

أما مسرحية الصعلوك التى جرت أحداثها كمـــا

بنشير المؤلف سنة ١٩٤٠ فهى تعرض جانبا من حيـاة امرأة « وحيدة هانم » غير متزوجة وذات جمال وثراء وتعيش وفق هواها فى منزل يدل مظهره على الترف .. الطرف الآخر فى المسرحيـة « دردير أفندى » شخص دسم الخلقة خفيف الظل يقوم بدور النديم والتـابع والمهرج فى وقت واحد .. يؤدى الخدمات الخاصـة لوحيدة هانم وينقل اليها أخبار المجتمع والصـالونات والخلافـات والطـلاق والزواج والسـباق ... الخ ويستميت فى الدفـاع عنهـا اذا مست سمعتها بكلمـه أو عبارة أو رواية جارحة .

ورغم البون الشاسـع بين وحيـدة هانم ودردير أفندى فى المـال والجمال والمركز الاجتماعى فان درديز لا يستطيع أن يمنع قلبه من أن يخفق بحب هـذه المرأة اللعوب .. يظل يكتم هـذا الحب بين جوانحـه حتى تطلق الخمر لسانه من عقاله فى احدى الحفلات فيصرح أمام الناس بأنه يحب وحيدة هانم ويريد أن يقبلها .. فتثور لهذه الوقاحة ثورة عارمة وتصدر أوامرها الى الخادم بأن يطرد درديز من المنزل اذا فكر فى زيارتها .

ويفتح السمسار على الهانم جالسة فى استرخاء على المكأ تدخن وتتصفح مجلات الأزياء فى اهمال وقد ارتدت ملابس غاية فى الأناقة وحسن الذوق والوقت قبيل الغروب ويستأذن حسن الفراش فى الدخول فتأذن له وينهى اليها مضطربا أن دردير أفندى على الباب فتنهره وتذكره بتعليماتها السابقة ولا ينتظر دردير الاذن بالدخول وانما يقتحم الحجرة وهو يصيح بأن روحية هانم قد بعثت به اليها بشأن مبالغ من المال كانت قد استدانتها من قبل .. ويبدى دردير من ضروب المذلة والاستكانة مما يجعل وحيدة تسترسل معه فى الحديث ولكنها ما تلبث أن تذكره بفعلته التى لن تغتفرها له فيقول لها خاشعا « كل ما كان الذنب كبير كل ما كان الصفح أعظم » ويجلس تحت قدميها كالكلب الوفى يذكرها باخلاصه لها وكيف انه تحمل الضرب والسجن فى سبيلها ومن أجلها . وترمى اليه لفافة وهو يحدثها عن أخبار المجتمع وفضائحه ثم يطلب منها فى الحاح أن تضربه بضعة أقلام على صدغيه وتصفعه فى رفق وهى غارقة فى الضحك .

وفجأة يلقى بهدوء وفى غير اهتمام قنبلة يكون لها أبلغ الأثر عند وحيدة .. لقد كسب نمرة المواساة السكندو (١٠٠٠) ألف جنيه كاملة غير منقوصة .. وتكذبه فى بادىء الأمر ثم نصدقه عندما تشاهد النقود بعينها وتتساءل عما ينوى عمله بهذه الألف فيخبرها أنه سينفقها فى ليلة واحدة يقضيها مع غانية تدعى لوليت صديقة الأمراء والملوك والعظماء .. وتعجب وحيدة كيف ينفق ألف جنيه على امرأة فى ليلة واحدة .. لابد أن جمالها يفوق حد الوصف ويجيبها (حسنها ما يتوصفش .. تعرفى جزمتك انت تساوى ألف واحدة زى لوليت) ويدور حديث هامس تتخلله بعض التنهدات .. ويحملق دردير فى وحيدة بعيون تشع نارا وهى مستلقية على المتكأ مسبلة الأجفان وتتمتم (ويهم ايه مش ليلة واحدة ..) ويرمى دردير بنفسه على يديها ويغمرها بقبلات جنونية ثم يدنى رأسه شيئا فشيئا من رأسها ويهم بتقبيله وتنار الحجرة فجأة ويدخل حسن الفراش بالقهوة فينهره ويطلب منه احضار شمبانيا على الفور ويقف دردير بعض الوقت صامتا تائه النظرات

فتعجب وحبدة من ذلك وتتساءل (مالك واقف مبلم كده •• دا أنا كنت فاكره ان الفلوس خلتك راجل تانى بقى انت اللى كنت عاوز تهيص مع لوليت •• اوليت فى عينك ••) •

ويقبل الفراش بأقداح الشمبانيا فيجرع منها دردير فى نهم •• ويعود الفراش بخبر الهانم أن « سعادة الباشا » على التليفون فيطلب منه دردير أن يخبره أن الست غير موجودة فتردد الفراش كالمذهول فتقول له وحيدة (انت ماسمعتش البيه قال ايه •• قول له انى مش هنا ••) • ويجره دردير من كتفيه وهو يقول (قول له سعادة الألف جنيه هنا •• شيء عجيب) •

ويتحدث دردير عن نفسه ويتساءل وهو يعب الخمر عبا •• (بقى الخلقة دى تعجب حد يا عالم ••) •

وترد عليه الهانم فى خبث والابتسامة تعلو شفتيها (ليه •• مالها •• مش بطالة •• المهم ان دمك خفيف) وتفقده الخمر صوابه فيقول فى صراحة تتغابى عنها الهانم (بذمتك كان يبقى دمى خفيف لو كان جيبى

خفيف) وتؤكد له وحيدة انه طوال عمره لم يعرف قيمة نفسه وان دمه خفيف فعلا ، ولكنه يذكرها بأنه يشبه الخنفس وهى تشبه الجوهرة وتنتابه حالة ذهول يخرج بعدها الأوراق المالية من جيبه ويحدجها بنظرة ملتهبة ثم ينهال عليها دعكا وتمزيقا فى ثورة صاخبة يشتبه فيها الضحك بالبكاء وتحاول وحيدة منعه من ذلك فلا تفلح انما يستمر فى تمزيق الألف جنيه اربا اربا وهو يصرخ (لا .. اقطعهم كلهم .. كلهم .. مستحيل أنا أكون غير ردير الصعلوك وأنت غير وحيدة هانم الجميلة الغالية حافضل أنا زى ما أنا وأنت زى ما انت ..) .

وتثور ثائرة وحيدة وتنهال عليه ضربا فيقع على الأرض فتطرده وهى تنعته بأحط النعوت فيخرج زاحفا على يديه ورجليه .. وتستلقى هى على وجهها وتشهق بالبكاء فى غيظ ثائر قائلة (الكلب .. الدون .. السافل .. الدنىء .. المجنون) .

لقد استطاع تيمور أن يصور بمهارة ودقة الصراع

الداخلى الذى دار فى أعماق بطلى المسرحية وأثر ذلك الصراع على انفعالات وتصرفات كل منهما •

وحيدة هانم دار فى أعماقها صراع بين كبريائها وغرورها وترفعها من جهة وحبها الشديد للمال وشغفها به من جهة أخرى وأخذت تتدرج فى معاملتها للنديم المهرج •• بدأت بالتظاهر بالصفح عنه ثم ذكرت ان دمه خفيف وشجعته على الاقتراب منهـا فاذا صرخت فى أعماقها نوازع الغرور والكبرياء اسكتتها بقولها لنفسها انها ليلة واحدة وماذا يضيرها أن تسلم له نفسها ليلة واحدة مقابل الألف جنيه •• ويغذى حب المـال شعور حاد بالغيرة من لولبت هـذه التى يسلب جمالها لب الملوك والأمراء •• وينتصر صـوت المـال وتتخـذ قرارها بالاستسلام له •• ويندفع هو فى هـذا التيار لولا دخول الفراش بأقداح القهوة •

أما دردير نفسه فقد كانت أعماقه محلا لصراع أشد عنفـا وقسوة •• صراع بين حبه الجارف لهـذه الهانم الجميلة اللعوب من جهة وشعوره الداخلى بالمهانة

وبالفارق الحقيقي الذى يقف بينه وبينها حائلا كالسد ..
لا يحول دون قيامه صفو ساعة أو بعض ساعة يدفع ثمنه
كل ما يملك من ثروة .. فى بادىء الأمر تطغى شهواته
وعواطفه على تفكيره .. وينسى نفسه بالسعادة التى
ظل يحلم بها .. لكنه وقد أدارت الخمر رأسه يجد
فى نفسه الجرأة لكى يعلن الحقيقة الثابتة دون مواربة ..
انه ليس أهلا لها .. وهى لم تخلق لمثله .. ويتغلب
الشعور بالمهانة والمرارة والازدراء لنفسه وينسحب من
منزل الهانم مطرودا يحبو على يديه وقدميه .

وتكاد القيمة الفنية للمسرحية تتركز فيما أبداه
المؤلف من مهارة فى تصوير هذين اللونين من ألوان
الصراع النفسى .

لكن أين هذا من الصراع المسرحى الذى يعتبر
ركنا من أركان أى عمل مسرحى لاغناء له عنه ... ؟؟

من الواضح أنه لا يوجد فى المسرحية محور
لصراع حقيقى بين بطلى المسرحية .

فلا توجد قضية أو فكرة يختلفان بشأنها ..

وانما على العكس يبدو أن الاثنين رغم ما حملت به المسرحيــة من مفارقات لا يختلفــان كثيرا فى نظرتهما الجوهرية لبعض الأمور وان كانا يختلفان فى السلوك وأســلوب الحياة اختلافا لا يرقى الى مرتبه الصراع .

هل تعتقد ان الناس يصفقون لمن يسلىء جيبــه بالمــال .. حتى ولو كان صعلوكا قبيح الخلقة .. وهو أيضا يرى الحياه تبتسم فى وجه من يدفع بسخاء .. وتعبس فى وجه الفقير المعدم .. وكما انه لايوجد صراع بين بطلى المسرحيه فكذلك لايوجد صراع بينهما أو بين أحدهما من جهه وبين بعض القوى الأخرى من جهــه أخرى .. مثل صراع الانســان مع القــدر أو الغيب أو الموت ... الخ .

لكن هــل يعنى انعدام الصراع المسرحى بالمعنى المفهوم انعدام الموضوع .. الحقيقة أن المسرحية تعالج موضوعا ولكنه موضوع مطروق ومعروف .. سحر المــــال الذى يطغى على كل شىء ويغطى العيــوب والمساوىء ويجعل القبيح جميلا والصعلوك « سعادة

البك » لكن طلاوة العرض والحوار واجـادة رسـم الشخصيات وتحليلها كل ذلك اكسب الموضوع ثوبا زاهيا قشيبا بحيث لايمكن اعتباره مجرد ترديد لما سبقه من أعمال أدبية عالجت هـذا الجانب من جوانب الحياة البشرية •

والمسرحية فوق ذلك تنبض بالحركة منذ السطور الأولى ولعل السبب فى ذلك أن المؤلف استخدم عنصر المفارقة •• الذى أغرم برناردشـو من قبله باستعماله ليجعل المسرحية تشع بالدفء والحرارة •

هذا التباين الواضح الشديد بين شخصية وحيدة ودردير وسـلوكها •• أبعد عن المسرحية الرتابة وبعث فيها الحيـاة •

خلاصة القول ان هذه المسرحية وسط بين القصة الحوارية وبين العمل المسرحى •• أو بمعنى آخر خطوة على الطريق نحو المسرحية المتكاملة •

أما المسرحية الثالثة فى المجموعة « أبو شوشـة » فهى تمثل تطورا هاما لمفهوم المسرحيـة القصيرة عند

تيمور وهذا التطور نلمس أثره واضحا فى المعالجة والبناء الفنى للمسرحية على النحو الذى سنتبينه بعد قليل •

يرفع الستار على بهو منزل مؤنس بك فى ضيعته كفر البلابل •• يصف المؤلف المنزل بأنه نظيف ومرتب عليه الطابع الريفى •• تجلس فى البهو يسرية زوجة مؤنس بك ومعها مربيتها ويدور بين الاثنتين حديث يستشف منه أن ربة المنزل من أسرة ريفية طيبة وان عزبة كفر البلابل قد أصبحت عزبة نموذجية ومضرب الأمثال بين العزب فى السنوات الأخيرة وتخرج يسرية ومربيتها وتظهر على المسرح برجة خادمة بارعة الجمال وعوضين خادم المنزل ويتطارحان أحاديث المودة ويرسمان خطوط المستقبل ويعد عوضين برجة أن يذهب بها الى القاهرة بعد أن يتزوجها ليقضيا بعض الوقت فى النزهة وزيارة المشايخ وشراء بن وسكر وتمنى برجة النفس بأن تبقى فى القاهرة الى الأبد شأن بنت خالتها شلبية لكنه ينهرها فى رفق •• ويسمع صوت مؤنس بك ينادى عليه غاضبا فيسرع اليه ويعلن البك أن مصيبة كبرى

قد حلت •• العجل أبو نوسة امتنع عن تناول الطعام ودمعت عيناه •• يا للكارثة •• يعطيه مؤنس الدواء ويطلب من عوضين أن يسرع باستدعاء أبى هجرس ليلازم العجل ويسهر على صحته •• وتقبل يسرية على زوجها متوددة فتحدثه عن التقاوى واللبن والزبد والجبن الذى سيعرضه فى معرض كفر الريان فيرد عليها فى فتور فتهم بمغادرة المنزل غاضبة فيتراجع ويهرب منها معتذرا متلطفا وتتوجه لزيارة والدتها وهى راضية النفس •

وفى هذه الاثناء يقبل على منزل مؤنس على غير موعد بعض الضيوف عطوه باشا ومعه الشيخ غندور وظاظا بك وحسنية هانم زوجته وقد كان هؤلاء فى ضيافة عطوه باشا فى ذلك اليوم بمناسبة افتتاح مسجد جديد فى عزبته وتاقت نفس ظاظا بك أن يزور عزبة كفر البلابل التى أصبحت حديث الناس ومضرب الأمثال وبعد أن يستريح الضيوف قليلا يخرجون جميعا الى الحديقة ولكن ظاظا بك ما يلبث أن يعود الى المنزل باحثا عن (التوربان) وهو عصابة حريرية لزوجته

وفى هذه الأثناء تدخل برجــة ويبهر جمالها ظاظا بك وتساعده فى البحث عن العصابة الحريرية وهو يداعبها ويتلطف اليها من وقت لآخر حتى نعثر على العصـابه ويضع ظاظا العصـابة على رأسها مغازلا ويفاجئهمـا عوضين فيغلى الدم فى عروقه ويشتم برجة وينهال عليها ضربا بوصفه خطيبها وزوج المستقبل ولمـا يحـاول ظاظا بك تخليصها منه تصيبه هو اللكمات وعندما تولى برجة من الحجرة هاربة يكون ظاظا على حد تعبير المؤلف (فى حالة بشعة مفكوك رباط الرقبه مصابا فى وجهـه بكدمات) ويتحدث الى عوضين فى عزة واشـفاق فى وقت واحد (ما تزعقشى كده وانت حمقى قوى ولكن باين عليك انك راجل طيب) ويمد يده اليه بقطعة نقود فيرفضها عوضين باباء وشمم ويغـادر الحجرة مرفوع الرأس • وتقبل حسنية هانم تبحث عن التوربان وعن زوجها فتفاجأ به على هذا الحـال ويقبل مؤنس بك أيضا ويخبرها ظاظا أنه سقط على الأرض أثناء بحثه عن العصابة الحريرية فاصابه ما أصابه •• وتحرض حسنية زوجها على الخروج من الحجرة فشربات الليمون ينتظره

فى الحديقة والناظر ينتظره بعد ذلك بالركايب للسرور على الاطيـان •• ويخرج ظاظا ويخـلو الجو لحسنية ومؤنس •• ويسترجع الاثنان ذكرى الايام الخوالى أيام أن تعاهدا على الحب والزواج ويبرر مؤنس اخلافه وعده أن والده توفى فجـأة وترك له الديون والمشاكل فآثـر ان يصرف كل جهـده لتدارك الموقف وادارة الأطيان بنفسه ولمـا تخبره حسـنية انها كانت على استعداد لمد يد المعونة اليه بمالها يخبرها أن هـذا هو السبب الذى جعله يبتعد عن طريقها فهو لا يقبل معونة من سيدة حتى ولو كانت زوجته •• وتسأله ان كان قد نسيها فيجيبها فى مرارة (الحجر بيفضل كتير والع تحت الرماد يا حسنية) •

وفى غمرة الذكريات يسـمع مؤنس خوار عجـل فينتفض واقفا ويسأل فى لهفة عن الأمر فيخبره عوضين ان أبـا سوشة يتناول الدواء فيوصيه بالعناية به ويعود الى حسنية فيجدها مدهوشـة مغيظة••ويعود الحديث الودى بينهما وتخبره حسنية أنها ستحتفل بعيد ميلادها بعد يومين وستقيم بهذه المناسـبة حفلا خاصا يحضره

الأقارب والأصـــدقاء ومن بينهم عطوه باسا والشيخ عندور ونسساءل عما اداكان يروق له الحضـــور •• انه لو فعل فسنكون نلك فرصة لا نعوض للقاء وقضـــاء بعض الوقت فى الأماكن الخلويه ودور اللهو •

وفى هـــده اللحظـــه يدخل عوضين صائحا يطلب البشارة ووجهه يطفح بالسرور •• لقد آكل أبو سونسه العليق ويكاد مؤنس يجن فرحا لهذا النبأ السار ويطلب من حسنية آن تصحبه الى حيث يوجد العجل لكنهـــا تجيبه فى خيبة أمل (روح انت وأنـــا حاسناك هنـــا) ويخرج مؤنس ويدخل زوجها يتمايل ثملا بما شربه من العرق فتنهره لفعلته ولكنـــه يؤكد لها آنه لم يشرب سوى شراب الليمون فقط •

ويدخل عطوه باشا والشيخ غندور وتجرى حسنية تحقيقا فى الموضـــوع فيتدخل الشيخ غندور مداعبـــا (أؤكد لك يا هانم ان ســـوء النية ما كانش موجود عند ظاظا بك •• مسألة ســـوء تفـــاهم بين الكبايات وبعض : بين كبابة الليمون وكباية العرقى) وتطـــلب

حسنية من زوجها فى حزم واصرار أن يتوجــه للمرور على الأطيان وتأمر عوضين باعداد الركايب على الفور ويمتثل ظاظا ويخرج تاركا حسنــنة مع عطوه باشــا والشيخ غندور ويدخل مؤنس بك على القوم فى منتهى السعادة يطلب منهم أن يقدموا له خالص التهنئة .. لقد طاب أبو شوشــة وأكل عليقــه وآخــذ يضحك ويبتســم .. وتقول حسنية هــانم ساخرة (هىء .. بيضحك) ويخرج الجميع لمشاهدة العجل .

يدخل ظاظا بك من باب جانبى فى حذر وفى هــذه اللحظة تدخل برجة تحمل صينية فطير ذرة اعدت لتكون هدية لعطوه باشا فيستقبلها ظاظا بك مرحبا (آهلا وسهلا برجة هانم) . وتقدم برجة صينية الفطير فيتناول منها قطعة اثر قطعــة وهى تحرضــه على ذلك مؤكدة انه يمكن عمل صينية أخرى للباشا .

ويتساءل ظاظا هل ستتزوج برجة عوضين .. فترد تلك فى استنكار أنها لا يمكن أن تفكر فى ذلك .. وبعد أن يداعبها ظاظا قليلا يسر اليها حديثــا هاما .. يتهلل له وجهها ويخرجان معا .

ويدخل مؤنس بك وعطوه باشا وحسنية هانم والشيخ غندور ويبدى الباشا اعجابه بالعجل فيرد عليه الشيخ غندور (ماشاء الله ملظلظ قوى .. فوى .. اوع تفرج عليه الجزارين لحسن يسرقوه منك) .

ويقبل عوضين مهرولا .. لقد بعث الباشا المدير من يسأل عن المعروضات التى سيبعث بها مؤنس بك للمعرض فيؤكد مؤنس أنه سيرسل هذه الأشياء فى الصباح الباكر وتستأذن حسنية هانم وباقى الضيوف فى الانصراف .. وتشير الى مشاغلها العديدة بمناسبة عيد ميلادها بعد يومين .. فيتذكر مؤنس وعده بحضور الحفل .. وكيف ان موعد الحفل هو ذات موعد المعرض فينادى على عوضين لتدارك وعده بالاشتراك فى المعرض فتحول حسنية بينه وبين ذلك وتطلب منه ألا يضيع فرصة المعرض من أجلها فيتردد ويبدى رغبة فى حضور حفل عيد ميلادها فتقول فى عزم وتصميم (مستحيل .. أنا متشكرة قوى على كل حال) فيردف مؤنس بك قائلا أمرك .. والله أنا كنت أحب أكون معاكم قوى) .

وتبحث حسنبة عن زوجها بأعصاب نائرة بينما يدخل عوضين معلنا نبأ هاما (الراجل اللى اسمه ظاظا بك أخذ البت برجة معاه فى التسبل وهرب) .

وعندما تبدى حسنية دهشتها لذلك النبأ بعود عوضين ليؤكده (وحياة رأسك يا ست هرب .. كل الفلاحين شافوهم فى التسبل زى الفريرة) .

وتصيح حسنية هانم فى اهتياج طالبة السيارة الثانية وتخرج كالعاصفة بينما يتهالك الشيخ غندور على المقعد ضاحكا ويدخل عطوه باشا وهو يجفف وجهه بالفوطة ويتساءل (مين هو اللى هرب .. العجل أبو شوشة) فيجيبه الشيخ غندور ساخرا (لا يا سعادة الباشا . اللى هرب عجل تانى .. تسال نشوف المسألة ايه) .

ويخرج الاثنان وبعد قليل تدخل يسرية وخلفها أم سريع .. وتزف أم سريع الى سيدة المنزل نبأ شفاء أبو شوشة فتطرب لذلك ويدخل مؤنس بك ويقع بصره على زوجته فيذهب اليها مبتهجا ويحوطها بذراعه

منادیا اباها بـ (یا حبیبتی) فتخرج أم سریع وهی تتمتم (ربنا یحمیکم لبعض ولا یورینا وحش فیکم أبدا) ویتحدث الاثنان فی موده عن المعروضات التی سیقدمها الزوج فی المعرض حتی یتطرق الحدیث الی القطن الجدید الذی استنبته مؤنس بك ولم یعثر علی اسم ویشترك الاثنان فی البحث عن اسم له وفجأة یهتدی الزوج الی الاسم المناسب (القطن الیسری والبذرة البسریة) وتتساءل یسریة فی دهشة وشك (علی اسمی) وتحدق فی زوجها طویلا ثم تخفی وجهها فی صدره متأثرة فیضمها بشغف الیه ویقبلها وفی هذه اللحظة تقبل أم سریع •• من الخارج قائلة (أبو هجرس جاب الجوامیس الحلابة یا ستی) وعندما تفاجأ بمنظر الزوجین متعانقین تنسحب فی هدوء •• وهی تغمغم (ما جابشی حاجة یا ستی) •• الذی یمیز هذه المسرحیة عن المسرحیتین السابقتین هو وفرة الشخصیات واسهامها بنصیب ملحوظ فی أحداث المسرحیة فالمسرحیة الأولی لم یظهر فیها سوی الأم الثکلی ووکیل النیابة والخفر واستغرق حوار الأم معظم صفحات المسرحیة والمسرحیة

الثانية تقاسم حوارها وحيدة هانم ودردير أفندى ولم يظهر معهما سوى خادم كل همه أن ينفذ تعليمات سيدته .. أما مسرحية أبو شوشة فقد زخرت بشخصيات عديدة كان لها أدوار ايجابية فى الأحداث.. صاحب المنزل وزوجته ظاظا بك وحسنية هانم .. حتى الخادم والخادمة كان لهما نصيب من اهتمام المؤلف فسلط عليهما الأضواء فى كثير من المواقف تعدد الشخصيات افاد بناء المسرحية من جهة .. وأضر به من جهة أخرى .. أفاد بناء المسرحية لأنه جنبها الجمود والرتابة وبعث فيها الحركة والحياة واضر بالبناء الفنى للمسرحية لأن تعدد الشخصيات ترتب عليه تعدد أوجه الصراع وهذا التعدد فى حد ذاته لا يعد عيبا فى العمل المسرحى اذا استطاع المؤلف ان يحتفظ بوحدة الموضوع وان يشد الصراعات الصغيرة المتعددة لبعضها الى بعض بحيث ينتظمها صراع رئيسى واحد .

هذه المسرحية تضمنت صراعا بين ظاظا بك وعوضين — حول الظفر بقلب برجة .. وانتهى الصراع بانتصار ظاظا بك وهروبه مع برجة .. وتضمن أيضا

صراعا خفيا وغير مباسر بين حسنية ويسرية حول الظفر بقلب مؤنس ويدخل أبو شوشة طرفا ثالثا فى هـذا الصراع وينتهى الصراع بانتصار يسرية ومعها أبو شوشة بالطبع •• والذى يبدو أن حرص المؤلف على أن يعطى ما أمكن صورة صادقة وحية عن الحياة فى ريف مصر ما قبل الثورة ببشواته وبكواته وخدمه وحشمه •• وهـذه المسرحية فيما اذكر كتبت ونشرت لأول مرة قبل ١٩٥٢ هـذا الحرص اغرى المؤلف بأن يقيم توازنا بين الشخصيات الرئيسية فى المسرحية فجاءت تكاد تكون متعادلة فى الأهمية وأقول تكاد لأنه من الواضح ان الزوج والزوجة وأبا شوشة ظفروا بنصيب أكبر نسبيا من نصيب ظاظا وبرجة وعوضين لكن لايمكن التسليم ببساطة بأن الصراع بين ظاظا وعوضين حول قلب برجة يعتبر بمثابة صراع جانبى لا أهمية له فى المسرحية فهذا الصراع أخذ جانبا كبيرا من اهتمام المؤلف الذى صور شوق برجة الى أنوار القاهرة ومباهجها منذ الصفحات الأولى ثم صور هيام ظاظا بهذه الخادمة الحسناء هياما شديدا تحمل من

أجله اللكمات والصفعات من خادم بسط .. وأهم من دلك كله أن هـذا الصراع لم يخدم الصراع الرئيسى فى شيء .. فحسنبة ومؤنس كان قد انصرف كل منهما عن الآخر قبل أن يهرب ظاظا مع برجة ولم تغير هروبهما شيئا من موقف حسنبة أو مؤنس أو زوجته .

والذى يسترعى الانتباه أن المؤلف أوجد حـلا لمشكلة برجة بهروبها مع ظاظا ولمشكلة مؤنس ويسرية بعودة المودة بينهما ولمشكلة أبو شوشة بعودة الصحة والعافية اليه .. ولكنه أغفل أيجـاد حل لمشكلة حسنة وهى شخصية هامة من شخصيات المسرحـة رغم أن الحل كان قريب المنال منه .

فعطوه باشا هذا الذى لم يقم بأى دور ايجـابى فى المسرحية .. كان من الممكن أن يعطف على حسنبة فى محنتها أو قبل محنتهـا ويتم تقـارب بينهما بحيث يستطيع القارىء أن يستنتج أن هـذا التقارب ستكون نتيجته زواج الاثنين ويـكون بمثابـة رد على زواج ظاظا بك المنتظر من برجـة الذى يؤكده فرارهـا على رؤوس الاشهاد ومن بين هؤلاء الاشهاد زوجته حسنية

التى كانت على بعد خطوات منه فى القرية .. ورغم ذلك فقد حوت المسرحية من عناصر القوة ما غطى عيوب بنائها الفنى أو كاد ومن ذلك :

أولا ـ تطوير الشخصيات الرئيسية تطويرا طبيعيا ومنطقيا نابعا من التطور الطبيعى للأحداث ذاتها .. مؤنس بك بدأ فى أول المسرحية بارد العواطف ازاء زوجته .. ومن خلال أحداث المسرحية تطورت شخصيته حتى أصبح يقف فى النهاية موقف المحب الولهان أمامها وانه لئن كان المؤلف لم يلق ضوءا كافيا على سر هذا التطور الا أنه جاء منطقيا ومتمشيا مع طبيعة الأحداث .. ففى بداية المسرحية كان مؤنس مشغول البال بمرض (أبو شوشة) ومن أجل ذلك كان متوتر الأعصاب .. وقبل النهاية كان أبو شوشة قد شفى من ناحية وكان صاحب المنزل قد اجتاز تجربة عاطفية جديدة مع حسنية التى كان يبادلها عواطف الحب والهيام فى فجر شبابه .. ولكن سرعان ما منيت هذه التجربة بالفشل قد يكون من أسبابها شدة تعلق مؤنس بالعزبة والعجول والمعرض والحياة فى الريف

بصفة عامة ونفور حسنيه من هــذه الأشياء •• وقد
يكون زهد كل منهمــا فى الآخر أو اشــفافه من اثارة
كوامن الحب القديم وكلاهما مرتبط بشريك لحياته ••
المهم أن فشل هذه التجربه الجديدة جعل مؤنس ينحفز
لاستقبال زوجته استقبالا حارا يلوم معه نفســه على
مجرد التفكير فى خيانتها ويدخر لها فيه سحنة كاملة
من عواطف الحب والوفاء والاخلاص •• شخصيه ظاظا
أيضا منال رائع على قدرة تيمور على تطوير الشخصيات
فقد بدأ ضعيف الشخصية مسلوب الارادة يتحرك بأمر
زوجته وارادتها وحدها ان آمرته بالخروج الى الحديقة
انصاع لأمرها وخرج على الفور •• وان بعثت به يبحث
لها عن عصابتها الحريريه عــاد كالتابع الأمين يبحث عنها
وان استشعرت خروجا منه على تعليماتها بعدم تنــاول
بعض المشروبات قامت بزجره على مسمع من الملأ •

وهــكذا •• ولكن هــذه الشخصــية الضعيفه
المتخاذلة طرأ على حياتها ما بعث فيها القوة والقدرة على
التصميم والتنفيذ دون انتظار الاذن أو الاشــارة من
الزوجة •• بل يذهب الى تحدى الزوجة ذاتها ــ لقد

دخلت حياته برجة وادار جمالها الرائع رأسه وجعله يقدم على اتخاذ كل هذه الخطوات .

برجه نفسها تطورت شخصيتها من خلال الأحداث .. بدأت فتاة قروية ساذجة تبادل عوضين الحب لكنها تحن الى زيارة القاهرة والاقامة فيها وتعريها بدلك ابنة خالة لها (نبلبيه) ذهبت اليها من قبل واستقرت فيها .. وعندما تواتيها الفرصة سانحة متمثلة فى شخصية ظاظا بك الذى افتتن بجمالها لا تلبث أن تهتبلها وتتطور شخصيتها وتكسر القيد وتتنكر لعهدها لعوضين وتقبل الهرب مع ظاظا فى سيارته .

ثانيا ـ امتازت هذه المسرحية فى كثير من مواقفها بالسخرية الحادة تنساب بين سطورها فى رفق دون ما ثمة افتعال أو تهريج .. والمؤلف قد أعد عدته لهذه السخرية منذ اللحظة الأولى التى أخذ فيها فى ارساء قواعد المسرحية فيجعل أبا شوشة هو محور اهتمام صاحب الضيعة .. اهتماما يجعله يذرف الدمع أسى ضحكا وسخرية من هذا الاهتمام .. كما حفلت المسرحية ببعض الشخصيات التى تتسم تصرفاتها

أو حديثها بالسخرية ومن ذلك ظاظا بك الذى تحمل الكلمات والصفعات فى صبر من أجل عيون برجة .. ويقبل على صينيه فطير الذرة فى نهم وهى لم تعد له وانما لعطوه باشا .. والشيخ غندور الذى لا يترك موقفا يستحق التعليق الساحر دون أن يدلى بدلوه ومن ذلك حديثه عن هرب ظاظا بأنه عجل آخر على النحو الذى أشرنا اليه عند تلخيص المسرحية .

ثالثا ــ استخدم تيمور فى هذه المسرحيه الأسلوب غير المباشر فى رسم الشخصيات ومن قبيل ذلك شخصيه حسنية .. فهو لم يقل صراحة فى أى جزء من أجزاء المسرحية انها قليلة الحظ من الجمال الذى قاله عنها فى مقدمة المسرحية ان عمرها ٢٩ سنة وانها زوجة ظاظا بك ومع ذلك فقد قال من خلال الأحداث انها لابد ان تكون قبيحة أو على أحسن الفروض متوسطة الجمال ــ فهذه المرأة التى يهجرها حبيبها (مؤنس بك) هى فى شرخ الشباب ورغم ثرائها العريض فى الوقت الذى يعانى هو فيه أزمة مالية والتى يهجرها زوجها بهرب مع خادمة حسناء بعد لقاء عابر قصير لا يتصور

أن تكون فد أوتيت من حسن أو جمال ولا يمكن آن يكون هجرها مره انر آخرى الا لهذا السبب •

رابعا ـ اجاد تيمور فى هـذه المسرحية أيضـا تصوير الصراع الداخلى ••

وهناك موفف قد يبدو للقـارىء عير رئيسى فى المسرحيه لكنه حظى من اهنمام الكاتب وعنايته بالشىء الكثير فجـاء فى الروعه والابداع دلكم هو المشـهد الذى كان يقف فيه مؤنس موزع العواطف والمشاعر بين حسنيه من جهه وأبى سوسة من جهة أخرى •

واستيقظ الحب فى قلبه وقلب حسنية معا أو هكذا هيىء لهما فأخذا يسنعيدان المـاضى بذكرياته بل وتعد حسنية العدة لوصـل الحـاضر بالمـاضى ولا تتورع وهى زوجه لشخص آخر له مكانته الاجتماعيـة من دعوة الصديق القديم لحضور حفل عيد ميلادها لتكون نلك فرصـة ذهبية يلتقيان فيها فى غفلة من أعين الرقباء فى دور اللهو والأماكن الخلوية •• ورغم حرارة اللقـاء التى كانت تزداد من لحظة لأخرى •• فان مؤنس عندما

يســمع خوار العجل لا يلبث أن يترك حسنية ويلتفت لمصدر الصوت •• وعندما يأتيه من يبشره ان العجل قد أكل عليقه وشفى من مرضه ينصرف عن حسنيه ويتركها مذهوله وتتحول عواطفه وأفكاره وخواطره الى أبى شوشه العظيم الذى سيرفع رأسه عالية فى المعرض الذى سيقام بعد يومين •

هــذا الصراع الذى يدور فى أعمـاق الرجل بين عواطفه نحو المرأه التى تقف بجانبه وبين رغبته الملحه فى اشباع هوايه له تصرفه عن الاستماع لصــوت المرأة وتوسلاتها صورة من قبل يوجين اونيل فى مسرحيته القصيرة (صيد الحيتان) وقد انهى الصراع الذى دار فى أعماق القبطان بانتصار الرغبــة فى صيد الحيتــان ويرفض توسلات زوجته بالعودة الى الشاطىء والعزوف عن الصيد •

واذا كانت هذه المسرحية تعتبر من أروع ما كتب أونيل من المسرحيات القصيرة فان المشهد الذى صوره تيمور بقلمه او بمعنى ادق رســمه بريشته يعتبر من أجود ما كتب وقد رفع كثيرا من قدر المسرحيه •

وبعد ‌هذه مسرحيه أبى شوشه قمــة انتاج تيمور فى المسرحية القصــيره وانضج مسرحياته وأقربهــا الى الكمــال •

ولا أظننى بعد ذلك فى حاجه الى عرض المسرحيات الثلاث الباقيه التى تتضمنها المجموعه (حفلة الشاى ــ الموكب ــ برفيه) فهى جميعا لا ترقى الى مســـتواها ولا نستطيع أن نطاولها رغم الحــوار السلس الرقيق الذى يتدفق فى جنباتها ورغم ابداع المؤلف فى اختيار اللقطــات ورســم الشخصــيات فكل ذلك لم يشفع للمسرحيتين الأولى والثانيــة (حكمت المحــكمة ــ والصعلوك) فى أن تنال حظ أبى شوشــة من المكانة والتقدير ســواء عند أهل كفر البلابل أو عند محمود تيمور أو عند القراء والمشاهدين •

***

العـــراق

نازك الملائكة وشجرة القمر

نازك الملائكة وشجرة القمر

عندما أخذت اطالع ديوان الشاعرة العراقية نازك الملائكة « شجرة القمر » تبادر الى ذهنى للوهلة الأولى هذا السؤال .. ما هذا المنعطف الجديد الخطير الذى انعطفت اليه نازك وشعرها فى هذا الديوان ؟

لقد كان من سمات ومميزات دواوينها السابقة وضوح الصور الشعرية .. ووضوح الرؤية بل وبساطتها مع عمق فى المعانى وسلاسة فى الألفاظ وموسيقى

شعرية تتدفق بين حنيات قصائدها فما بالها من هـذا الديوان « شجرة القمر » تلجأ الى الرموز والأحاجى والألغاز والقصص الخيالية التى يجهد القارىء نفسه فى البحث عن مدلولاتها حتى لو كانت قد وضعت يده على أول خيط وبداية الطريق كما فعلت فى مقدمة ذلك الديوان .

لكننى ما كدت أعيد قراءة الديوان مرة ومرات ثم أعود الى دواوينها السابقة وخاصـة ديوانهـا الأول عاشقة الليل حتى وجدت شعر نازك لم يتغير جوهره فى شىء ، ذلك أنها تستلهم شعرها من منابع ثلاثية لا تحيد عنها : وصف الطبيعة والافتتان بها ، الغوص الى أعماق النفس البشرية وتصوير أدق خلجانها التغنى بالحياة .

واستطعت بذلك أن اخلص الى نتيجـة أراحتنى كثيرا .. ان التغير هو فى أسلوب العرض .. فى الشكل وليس فى المضمون وهو تغير الى أفضل فيه تجديد وفيه تطور ذلك أن الأسلوب القصصى فى الشعر وهو الاطار الذى أفرغت فيه نازك قصيدتها الرئيسية فى الديوان

شجرة القمر هو من أرقى أساليب الشعر المعاصر وذلك طالما لم تفقده السرد القصصى لمسة الفن وروعته وطلاوة الشعر وعذوبته وطالما ظل الشاعر بمنأى عن النثرية والتقرير .

وقصة شجرة القمر قد تكون قصة ساذجة ، بسيطة مما يحكى للأطفال فى سن الصبا وقد حكتها الشاعرة فعلا لبنت خالتها مسورة ذات ليلة من ليالى سنة ١٩٤٩ ولكنها فى جوهرها عميقة المضمون صبى صغير يفتتن بالقمر فينصب له الشباك ويصيده ويأخذه أسيرا الى كوخه حيث يحتفظ به لنفسه ويحجب ضياءه عن الناس وتثور الجماهير فى كل مكان باحثة عن القمر وتتجه الى كوخ الصبى تدق باب الكوخ فى اصرار وعناد مطالبة بالافراج عن القمر السجين فيهتدى الصبى الى فكرة دفن القمر فى أرض الكوخ ليخفيه عن أعين الجماهير الغاضبة التى تدخل الكوخ فلا تجد شيئا فتنصرف آسفة غاضبة .. لكن القمر الذى دفن فى أرض الكوخ تنبت بذرته شجرة .. ليست ككل الأشجار وثمارها ليست ككل الثمار تغار منها الأشجار

والشجيرات .. لكن الأمر لا يستمر على هذا المنوال كثيرا .. فبعد فترة طالت أم قصرت يعود القمر الى سماء الكون يأخذ مكانه فى كبد السماء ويضىء للدنيا كلهـا ...

ولنتابع بعد ذلك أبيات القصـيدة التى أفرغت فيها نازك هـذه القصة والتى تقرر اعترافا بالحق فى مقدمة الديوان أنها استلهمت فكرتهـا . دون البنـاء أو الصور أو الأساليب من قصيدة لشاعرة انجليزيـة قرأتهـا ذات يوم ونست اسـم القصـيدة والديوان والشاعرة على السواء .

تبدأ القصيدة بوصف مسرح أحـداث القصـة هكذا على قمة من جبال الشمال كساها الصنوبر .

وغلفهـا أفـق مخمـلى
وجـــو مغبــــر

وترســـو الفراشــات
عند ذراها لتقضى المســاء

وعند ينابيعهـا تستحم
نجـــوم الســماء

ثم تنتقل الى وصف البطل وهو الغلام .

هنـاك كان يعيش غـلام ، بعيـد الخيـال
اذا جاع يأكل ضـوء النجوم ولون الجبـال
ويشرب عطر الصـنوبر والياسمين الخضل
ويمـلأ أفكاره من شـذى الزنبق المنفصـل
وكانت خلاصـة أحلامـه أن يصـيد القمـر
ويودعـه قفصـا من نـدى وشـذى وزهر
وتواتى الغلام الفرصة وهو قريب من القمر
والقمـر غافـل عنـه وعمـا يدبره لـه :
وكان قريبا ولم ير صـيادنا الياسـمى
على التل فانسـاب بذرع أفق الدجى طالمـا
.. وطوقه العاشـق الجبلى ومس جبينـه
وقبـل اهدابه الذائبـات شـذى وليونـه
وأخفـاه فى كوخـه لا يمـل اليـه النظـر
أذلك حلم ؟ كيف وقد صـاد .. صاد القمر
ويبحث النـاس عن القمـر فلا يجدونـه :
ونادت صبايا الجبـال جميعا ((نريد القمر))
فردت القمم السامقـات ((نريـد القمـر))

وطاف الصدى بجناحيه
حــول الجبــال وطــار

الى عربات النجوم وحيث
ينـــــام النهــــــار

اما فى الكوخ فقد كان الغلام سعيدا لضيفه الجديد .

وفى الكوخ كان الغــلام يضم الأسير الضحوك
ويمطــره بالدمــوع ويصرخ ((لن يأخذوك))
وتزحف الجماهير نحو الكوخ بحثا عن القمر
.. فماذا يفعل .. ؟ !

ومرت دقـــائق مثقــلات
وقـــــاب الغـــــلام

تمزقــه مديــنة الشــك
فى حســــرة وظــلام

وجاء بالفأس وراح يشق
الثــرى فــى ضجــر

ليدفن هذا الأسير الجميل
وأيـــــن المفـــــر ؟

وراح يودعه فى اختناق وبغسل لونه
بأدمعه ويصب على حظه ألف لعنة
وحطمت الجماهير الثائرة باب الكوخ فماذا
وجدت .. لم تجد شيئا

فلا شىء فى الكوخ غير السكون وغير الظلم
وأما الغلام فقد نام مستفرقا فى حلم
وحار الرعاة أيسرق هذا البرىء القمر ؟
ألم يخطئوا الاتهام ؟ ثم أين القمر ؟

وتبرع الشاعرة الجماهير فى تساؤلها وتعود الى وصف حالة الغلام .. ذات صباح بضيق فيجد شيئا جديدا .

هناك كانت تقوم وتمتد فى الجو سدره
جدائلها كسيت خضرة خصبة اللون نرة
رعاها المساء وغذت شذاها شفاه القمر
وأرضعها ضوؤه المختفى فى التراب العطر
وأشرب أغصانها الناعمات رحيق شذاه
وصب على لونها فضة
عصرت من سناه

وأنمارها .. أى لون غريب

وأى ابتكـــــــــار

لقـد حـار فيهـا ضـياء

النجـوم وغـار النهـار

وجفـت بهـا الشجيرات

المقـــائدة الجـــامده

فمنذ عصــور وأنمارها

لــم تــزل واحــدة

فمن أى أرض خياليــة رضعت ؟ أنى تربـة

سقتها التجمال المفضض ؟ أى ينابيع عذبـة

وتمر الأيام والسنون وينسى الناس قصـة غياب القمر ولكنه يوما ما يعود اليهم لتعود للكون بهجته ولا تفسر الشاعرة كيف كان ذلك ..

ومرت عصـور وما عـاد أهل القرى يذكرون

حيـاة الغـلام الغـريب

الرؤى العبقرى الحنـون

وحتى الحياة طوت سره

وتناســت خطــاه

وأقمـــاره وأناشـــيده
واندفـــــاع منـــــاه

وكيف أعـــاد لأهل القرى
الواطــــين القمـــــر

وأطلقــه فى الســـماء كما كــان دون ممــر
يجوب الفضاء وينشر فيه
النــــدى والبـــرودة

وسبه ضـــباب تحـــدر من أمســـيات بعيدة

وتختتم الشاعرة قصيدتها أو قصتها هكذا ..

وهمســـا كأصـــداء نبع
تحـــدر فى عمــق كهف
يؤكـــــد أن الغـــلام
وقصــــته حــلم صـــيف

وسواء أكانت القصـــة حلم صيف أم أســـطورة تناقلتها الأجيال فان القصة على أية حال تستحق العرض والدراسة والتأمل العميق الذى فى صـــدق مكانهـــا بين شعر نازك وبين الشعر المعاصر وكنت أود لو عرضت هنا القصيدة كاملة لولا أنها تقع فى مائة وأربعة وأربعين بيتـــا .

هذه القصيده فى رأبنا وبغض النظر عما أوردته الساعرة فى مفدمة الديوان .. فالغلام رمز للأثرة الانسانية على وجه الأرض .. والقمر رمز لمعانى وقيم الحق والخير والجمال وزحف الجماهير بحثا عن القمر يدل على ان الحياة على وجه الأرض ــ وان طال الزمن ــ لا تستقيم بدون تلك القيم .. وعودة القمر الى مكانه ثانية يضىء الكون بضيائه رمز لعودة الحق الى أصحابه الشرعيين .

وثمة تساؤل بطرح نفسه فى هذا المقام الا يمكن أن يكون هذا الغلام رمزا لحاكم مستبد أراد أن يجمع بين يديه كل عناصرالخير فى البلاد ويكنزها دون رعيته .. وأفلح فى ذلك زمنا ثم دار الزمن دورته .. وعادت للرعية حقوقها كاملة .

ان القصة تحتمل هذا وأكثر منه لكن التأويل الذى أتت به الشاعرة فى مقدمة ديوانها تأويل مبسط وشاعرى فى الوقت ذاته وفى ذلك تقول الشاعرة (ولعله لا يخفى أن الغلام فى قصيدتى رمز للشاعر أو

الفنان فهو يحب الطبيعة حبا يفوق حب الآخرين لها ويريد ان يقترب منها ويذوب فيها ليصوغ منها ألحانه وقصائده •• وتكون ثورة الرعاه والصيادين رمزا للحق العام فى القمر فاذا كانوا لا يصلون الى استرجاع الأسير ، فان ذلك لا يتم الا بخدعه يرتكبها الغلام فهو يدفن القمر فى الأرض ليستنبت منه شجره سامقه لا مثيل لها بين الشجر ••• وما معنى ذلك ؟ معناه ان الفنان يتناول الطبيعه ويبدع منها فنه فاذا كان فى السماء قمر يملكه الوجود كله فان فى وسع الفنان الذى يحب ذلك القمر أن يصنع نماذج منه فى قصائد وصور •• وتنتهى القصيدة بأن يعيد للناس القمر العام الى الوجود ويكتفى بالأقمار التى تثمرها شجرة الشاعر) ••

وواضح أن نازك فى هـذا التأويل وذلك التحليل متأثرة بصفتها كشاعرة وفنانة••لكن الدارس أو الناقد للقصيدة من واجبه أن ينظر اليها نظرة أكثر عمقـا وحيادا •• لكن ما بالنا نشغل أنفسنا بالرموز والأهداف الظاهرة والباطنة ونغفل عن الصـور الشعرية النادرة التى تزخر بها القصيدة مسرح القصـة أضفت عليـه

الشاعرة جوا ساحرا وأبدعت فى وصفه قسم جبـال الشلال كستها أشجار الصنوبر والأفق الذى بعد وعلى البعد بلون المحمل أضاف الى اللوحة أبعادا جديدة زادت طبيعتها فتنة وجمالا ثم تأتى الفراشات من بعيد لتقف على تلك القمم لا لتضيف بألوانها الزاهية بعدا جديدا الى الصـورة المـادية للوحة فحسب وانما لتبعث فى المسرح كله الحيوية بأناشيد المساء •

هـذا على القمم الشامخـة أما عند الينابيع فان صورة النجوم قد انعكست فبدت وكأنها تستحم فى تلك الينابيع الصافية •

وقد تكون الصورة الأخيرة مستوحاة من شـعر على محمود طه فى قوله (فى شراع تسبح الأنجم اثره) من قصيدته الجندول وقد لاتكون كذلك لكنهـا على أية حال جاءت أجمل وأدق من صـورة على محمود طه كما جاءت مكملة للوحة التى رسمتها الشاعرة لمسرح الأحـداث •

أما شخصية الغلام ـ بطل القصة ـ الذى ظل

يتربص بالقسر حتى استطاع أن يصطاده فقد أكدت الشاعرة بوصفها له مقومات تلك الشخصيه كفنان أصيل يذوب فى الطبيعه حبا •• فهذا الغلام ليس فقط بعيد الخيال وهى سمة كل الشعراء والفنانين •• وانما هو لا تعنيه المادة فى شيء •• وغذاء الروح عنده هو أفضل غذاء فهو يلتهم جمال الطبيعة ، ضوء النجوم ولون الجبال وسرابه ليس كشراب الناس انه يشرب عطر الصنوبر والياسمين •

حتى عمليه أسر أو اختطاف القسر لم تتوان فيها الشاعرة عن رسم لوحة ناطقة بالحياة •• القسر ينساب فى كبد السماء يذرع الأفق حالما الى أن يأتى عاشقه وصائده فيمس جبينه مسا رقيقا ثم يقبل أهدابه ثم لا يملك مقاومة الاغراء فيأخذه معه الى كوخه لا يمل اليه النظر •

وفى الكوخ أيضا حيث تدخل الجماهير الزاحفة قدمت الشاعرة لوحة معبرة جديرة بالتأمل والامعان الكوخ يحبط به السكون والظلام والغلام نائم حالم والرعاة يقفون فى حيرة وتردد يسألون أنفسهم هل مثل

هذا الغلام الصغير البرىء قادر على أن يسرق القمر ..
ثم أين هو القمر .. ؟

أما الشجرة التى نبتت من بذرة القمر فقد أحسنت الشاعرة تصويرها فجدائلها مكسوة بالخضرة وثمارها ذات لون غريب وجميل جعل حتى النجوم تتساءل عن سره فى حيرة وهى لا تدرى أن مصدر الشجرة هو أبوها القمر وجعل النهار ــ الذى يسطع بضوء الشمس يغار من ضوئها وجمالها ... أما الشجيرات المقلدة الجامدة فمن حقها طبعا أن تجن لأنها رأت بينها شجرة ليست كسائر الشجر لا أغصانا ولا ثمرا ولا عطرا ...

تلك القصيدة شجرة القمر هى قمة انتاج نازك الشعرى كله ..

تـــونس

مع هند عزوز في الدرب الطويل

جولة مع الأديبة التونسية هند عزوز فى الدرب الطويل

من يتجول مع الأديبـــة التونســية هند عزوز فى الدرب الطويل يقوم لاريب برحلة شائقة يتعرف خلالها على جوانب شتى من الحياة الاجتماعية فى تونس فى النصف الثـــانى من القرن العشرين من خـــلال رؤية نسائية أحيانا ورؤية محايدة أحيانا أخرى وبأســلوب يتسم بالصراحة التى قد تصـــل الى حد الوعظ المباشر تارة وبأسلوب متمكن يكتسى غلالة من الفن الرفيع تارة أخرى •

وقبل أن نجوس خلال الديار ــ ديار المجتمـــع

التونسى المعاصر وبعنى أدق خلال الدرب الطويل للأديبة هند عزوز لا يفوتنى أن أشير الى أن هذه المجموعة طبعت أربع مرات فى فترات متقاربة مما يعنى أنها تمثل لونا من ألوان الأدب التونسى الحديث وتعد ابنة من لبنات القصة القصيرة فى مرحلة النهضة الأدبية التى تعيشها تونس منذ ١٩٥٥ حتى الآن ٠

أولى قصص المجموعة « على طرفى نقيض » تروى قصة زوجين حديثى العهد بالزواج خالد وسليمة ٠٠ الزوج ينتمى الى الطبقة المتوسطة محدودة الدخل لكنه يقرض الشعر ويهوى الأدب ويعيش فى عالم أبعد ما يكون عن الماديات وعلى النقيض من ذلك زوجته سليمة التى تتوق لحياة البذخ والثراء وكان طبيعيا أن تسود حياتهما الخلافات من وقت لآخر وعندما يجلس الاثنان فى حديقة منزلهما الصغير يتحدث الزوج عن أزهار الحديقة التى يفتتن بجمالها لكن الزوجة لا تأبه لهذا الجمال وتقول له ان الزهور ستكون أجمل لو وضعت فى اناء زهور فاخر ٠

وتأتى ليلة عيد ميلاد سليمة وتقيم الأسرة حفلا

بسيطا دعى اليه بعض الأقارب والأصدقاء وقدم خالد لزوجته هديتين .. الأولى باقـه من زهور البنفسج والثانية قصيدة من بنات أفكاره صفق لها الحاضرون وفى اليوم التالى تفصح الزوجة عما كبتته فى صدرها من ضيق .. كيف يهتم زوجها بالسيد قاسم ولا يولى عنايته شخص أكثر ثراء وأوفر جاها هو السيد مصطفى ثم أين ما قدمه لها هدية من الهدايا التى قدمها لها أهلوها .. وينتهى الحديث الى شجار وأصبح كل منهما يحس بأن عش الزوجية مهدد بالانهيار .

لم يكن غريبا فى ظل الجو النفسى المتوتر أن يخلو خالد الى نفسه بتأمل الموقف ويعيد حساباته ويمعن النظر فى أسلوبه فى الحياة .. أخذ يفكر فى البحث عن الثروة ليرضى زوجته ويوفر لها ما تريده من حلى وأشياء ثمينة وعقد العزم على سلوك ذلك السبيل الذى يؤدى الى الثراء .

وعندما شغل خالد بمشاريعه الطموحة للبحث عن المال وجدت سليمة نفسها فى فراغ ولم يكن غريبا أن تملأ ذلك الفراغ بمطالعة الكتب واستخلاص

العبر •• جلست ساسة ذات لبابة تطالع سير عظماء الرجال من العلماء ورجال السياسة الذين خلدهم التاريخ وما حفلت به حياتهم من مواقف تمسكوا فيها بالقيم والمثل العليا والتضحية ونكران الذات •• وقالت لنفسها •• خالد محق فى تفكيره •• هو يريدنى أن أحلق معه فى سماء العبقرية•• وكنت كدجاجة لاتستطيع الطيران •• ما أحقرنى وما أنبلك يا زوجى •• الحمد لله الذى كشف عن بصيرتى وأصبحت أؤمن بالقيم •

كان الوقت متأخرا الحادية عشرة مساء وزوجها لم يحضر بعد •• كان مجتمعا مع بعض رجال الأعمال ومشغولا بتأسيس الشركة التى ستدر المال •• وأخير حضر •• سليمة تغمغم •• نعيم الروح يخلد الروح •• ونعيم الجسد يفنى مع الجسد •• الحمد لله الذى وحد فكرنا كما كنا نؤمن •• قاطعها خالد •• لا لم تكونى مخطئة أنا لم أكن أفهم الحياة •• وأخذ خالد يزف لزوجته بشرى تأسيس الشركة التى رصدت لها المبالغ الكبيرة •• ويحتدم النقاش وينطوى كل منهما على نفسه •

وفى الغد تذهب سليمه الى احدى المنتديات الثقافية لتستمع الى محاضرة عن شهيرات النساء بينما انطلق خالد الى سباق الخيل ليراهن على حصان ..

أول ما يسترعى الانتباه بالنسبة لهذه القصة أن المؤلفة اجتأت الى أساوب السرد المتتالى للأحداث رغم كثرة تلك الأحداث وطول الفترة الزمنية وهو أمر سباق الى حد ما مع الاتجاه الحديث فى بناء القصة القصيرة حيث يعنى المؤلف اكثر ما يعنى بالتركيز على الحدث الرئيسى فى القصة فى اطار فترة زمنية محدودة ولا يوجد ثمة ما يحول بين المؤلف وبين الاستعانة بأحداث فترة زمنية سابقة طالت أو قصرت من خلال ما يسمى بالفلاش باك . وباستثناء هذه الملحوظة فالقصة جيدة البناء أجادت فيها المؤلفة تصوير تيارات التحول التى عصفت بالعالم بأسره خلال النصف الثانى من القرن العشرين حيث أخذت الماديات تزحف على حساب الروحانيات والقيم والمثل العليا ... وأجمل ما فى القصة انها لم تسلم بذلك التحول على اطلاقه بل جعلته يتأرجح بين الزوجين وأعادت التوازن فى نهاية

القصة بين الماديات والروحانيات لكن على حساب الزوج المسكين الذى كان فى بادىء الأمر ضحية للزوجة التواقة الى الثراء وأسبغت عليها المؤلفة فى نهاية القصة كل صفات النبل والخلق الكريم فى تحجز ظاهر لبنات جنسها والتحيز هنا فى رأيى ليس فيه ما يعاب على المؤلفة وانما على العكس يحمد لها لأنه ينطوى على دعوة الى اهتمام المرأة بالقيم والمثل العليا وطرح الزيف والمظاهر والجرى وراء الثراء السريع وهى كلها آفات المجتمع العربى المعاصر بأسره وليس المجتمع التونسى وحده .

وبجانب ذلك فالقصة تعبر عن مضمون انسانى قديم قدم الأزل .. يتمثل فى هذه الحكمة .. ان مشكلتنا نحن البشر أننا عندما نجد لا نستطيع .. وعندما نستطيع لا نجد .. هذه المفارقة الانسانية التى تلازم كل المجتمعات وتزداد وضوحا مع التطور الاجتماعى وتشابك العلاقات الاجتماعية .. استطاعت الأديبة هند عزوز أن تلمسها لمسا رقيقا من خلال

عرض هــذه الصورة الاجتماعية التى تنبض بالحيوية ولا تخلو من التشويق •

وأخيرا فان لغة الكاتبة لغة عربية سليمة وتتفاوت بين اللغة الجزلة واللغة المبسطة لكنها تنبىء عن معايشة الأدب العربى قديمه وحديثه •

وننتقل من الصراع السافر بين خالد وسلمه الى صراع آخر مستتر قد يكون أشــد عنفا يدور فى أعماق احدى الأمهات كما تصــوره الكاتبة فى قصــة « عواطف أم » •• الأم تلح على ابنها عزيز أن يتزوج لتحقق أعز أمنية لها فى الحيــاة عزيز يقبل الفــكرة ويتفق مع والدته على الزواج من سناء •• وتبقى الأم مع العروسين تعيش معهما تحت سقف واحد •• وتمضى الأيام والأسابيع والشهور وتحس الأم انها أصبحت غريبة عن المنزل وأن الزوجة قد استولت على قلب الابن وظفرت بعواطفه •• ، •• فى الوقت الذى شــعرت فيه سناء أن هذا البيت الذى تعيش فيه مع زوجها ووالدته ليس هو المملكة الصــغيرة التى منت النفس بها ••

انها تريد أن نكون المسئولة عن هذا المنزل •• وربة بيت بمعنى الكلمة لا أن نعيش فى نظام لا دخل لها فيه وهيىء لها أن أم عزيز تحتكر كل عواطفه •• وكان طبيعيا أن تتولد الخلافات وتتطور •• وقررت الأم الانفصال عن ابنها وزوجته رغم معارضة ابنها الذى أذعن فى خاتمة المطاف وتغادر الأم المنزل الى منزل آخر حيث تعيش وحيدة •

ورزق عزيز بولد بهى الطلعه وأحس بسعادة غامرة وقال فى غمرة الفرحة : من يطلب منه شيئا يعطه اياه •• وتساءلت الأم والدة عزيز هل يعدها بذلك وما أن أجاب بالايجاب مؤكدا الوعد حتى قالت له : احتفظ بوعدك •• الطلب سأخبرك به فيما بعد •

وسمى الولد عادلا واستمرت الافراح أسبوعا كاملا وبعد ثمانية أشهر أرسلت الأم الى ابنها رسالة (تحياتى وقبلاتى لعادل •• وبعد فاننى منذ ثمانية أشهر وأنا أعد الأيام شهورا والشهور سنوات هل تعلم لماذا ؟ •• اننى قررت أن أقدم لك طلبى الذى

وعدتنى بانجازه من ثمانية أشهر •• أنا مصرة ومستكنه بطلبى •• اننى اطلب منك شيئا عزيزا عليك •• قد قتلتنى الوحدة وآضنانى الانتظار •• اننى اطلب منك أن تهبنى ابنك••ابنك عادل••هو الذى أطلبه منك•• لا تضطرب أنا جدته قبل كل شىء •• ان اعطيتنى طفلك سيرزقك الله ولدا سواه •• آما أنا •• الا تستطيع ان تفعل شيئا فى سبيل أم بأعز ما يملكه انسان •• انى محرومة •• تخلت عن وحدى راضيه سعيا وراء سعادته الزوجية •• أما سناء قل لها على لسانى •• لا تحزن •• لم أرد الا الخير) ••

وفرغ عزيز من مطالعة الرسالة مضطربا •• وقال لنفسه •• أجل يا آماه حان وقت التضحية •• وفهمت الآن السر الحقيقى لهجرك لنا •• لكن الويل كل الويل لسناء التى عبثت بعواطف أم مكلومة دون علم منى •

رفع صوته منادبا سناء بلهجة هستيرية •• أحس بركانا على وشك الانفجار فى أعماقه •• لاحت سناء •• لم يستطع أن يقول شيئا •

فى هذه اللحظه وصلت الأم فجأه وسلمت عليهم وأخبرها عزيز أنه قرأ الرسـالة الأم تقول ليتك لم تفعل .. ليتنى وصلت قبل الساعه بلحظات .. سـناء لا تفهم شـيئا مما يقولانه .. صـوت عادل يتعـالى بالبكاء فى حجرة مجاورة .

الأم سيرا الى ابنها قد عدلت عن كل ما جاء فى الرساله وطلبت اخفاء أمرها عن سـناء .. وطلبت من ابنها ألا يظن بها الظنون ويلتمس لها العذر .. لانهـا تسير بفعل طاقة عنيفة لا تستطيع لها ردا .. انها عواطف الأم المكلومه نحو ابنها الوحيد « ان العاطفة التى حملتها بعيدا هى ذاتها التى أرجعتها لكى يعيش الجميع سـويا تحت سقف واحد فى بيت ينير جنباته هـذا الملاك الذى يربطهم برباط الأبوة والأمومة والجدودة .

والحق الذى لا مراء فيه أن موضوع القصة ليس فيه جديد وقد طرق من قبل مرات ومرات لكن الجديد فى هذه القصة القدرة البارعة على تصـوير أدق خلجات النفس البشرية والغوص الى أعمـاق أعماق الأم فى حالات القرب والبعد والرضى والغضب فى كافة المراحل

التى مرت بها الأحداث •• مرحلة ما قبل زواج عزيز ومرحلة بعد الزواج وقبل الانجاب والمرحلة التالية لمولد الطفل عادل •• وهـذا الصراع الذى دار فى أعماقها •• وقد جاءت الأحداث منطقيه تماما مع طبيعة مشاعر الأم وعواطفها رغم ما قد يبدو فى الظاهر من تناقض •

الأم لم تستطع الصمود طويلا أمام العاطفة الجارفة التى كانت تلح عليها للاستئثار بمحبة الابن واهتمامه ولم تكن تملك فى هـذه المرحلة سوى الابتعاد ـ على كره منها ـ عن منزل الابن وزوجته •• لكن الابتعاد عن الابن لم يطفىء نار العاطفة المتقدة وانما زادهـا اشتعالا •• وأخذت تمنى النفس وتعد الأيام والليـالى حتى يأتى الى الدنيا الطفل الوليد وتجد فى قربه العزاء كل العزاء عن الابتعاد عن والده •• وجاء الحل السعيد أو النهاية السعيدة فى انضمام الشمل •• شمل الأسرة كلها تحت سقف واحد •

واذا كانت المهارة فى التحليل ورسم شخصية الأم قد رفعا من قدر القصة رغم بساطة الموضـوع فان فكرة الرسـالة والتحول الطـارىء فى موقف الأم بعد

ارسالها قد بعت فى أوصـــال القصـــة كثيرا من الدف،
والحيوية بعد ما شابها من رتابة فى الصفحات الأولى .

واذا سلمنا بفكرة وجود أدب نسائى متميز تعبر فيه الأديبة أو الشـــاعرة عن عواطف ومشـــاعر الأنثى تعبيرا خاصا يفوق تعبير الأديب أو الشاعر عن هـــذه العواطف والمشاعر فان هـــذه القصة « عواطف أم » تعتبر نموذجا طيبا للأدب النسائى فى مجـــال القصة القصيرة فى شمال أفريقيا .

ومن الأسره التى تنجب فيها الزوجة الوليد الأول دون ما نة ابطاء تنتقل الى أسرة أخرى لم يســعدها الحظ بهذه الهبة الالهية طوال فترة الحيـــاة الزوجيـــة كما هو الحال فى قصة « زبيدة » .

تزوجت زبيدة فى منتصف العقد الثانى من عمرها من زوج ميسور الحال واعترفت هى وأقاربها من خير الزوج .. ومرت تسع سنوات كأنها حلم .. أحست بعدها بالانقباض والتفاهة .. بل وبالنقص .. انها لم تنجب أولادا ونداء الأمومة يصرخ فى كيانها .

وبينما كانت هذه الأسرة الميسورة الحـال تعانى من عدم الانجاب •• كانت هنـاك أسرة رقيقة الحـال تعيش على مقربة منها تعانى من كثرة الأولاد •• وضيق الرزق حتى ان فاطمة الجارة الولود عقدت العزم على التخلص من طفلها العاشر الذى كان لايزال فى احشائها جنينا وقررت اسقاط الجنين •• وتلقفت زبيدة هـذا الخبط وعرضت على فاطمة صفقة ما لبثت أن وافقت عليها •• تحتفظ فاطمة بالجنين فى أحشائها حتى تحين ساعة الولادة ثم تتبناه زبيدة وزوجها مدى الحيـاة وظل الأمر سرا على الجميـع •• وجاء الوليد المنتظر بنتا اسموها وحيدة •

وتمر الأيام ويتقدم لطلب يد وحيدة شاب ثرى اسمه عادل •• وجاء يوم عقد القران •• ودون ما سابق انذار •• قلبت فاطمة لزبيدة ظهر المجن وهددت بافشاء سر وحيدة (لغاية فى نفسها) على تعبير المؤلفة •• ومر أسبوع وزبيدة فى وجوم دائم وصمـت رهيب حتى حارت وحيدة فى شأنها •

لم تطق زبيدة صبرا وهى مهددة من فاطمـة فى

كل لحظة بافشاء السر فاغتنمت هى فرصة موانبه وأسرت الى عادل بالحقيقة كاملة •• وبدلا من أن يثور عادل كما توقعت زبيدة ابتسم قائلا لها •• انت لم تمضى الى بسر •• كنت أعلم كل ذلك •• ووحيدة أيضا تعلمه وطلبت اخفاء علمها ولما صارحته وحيدة بالحقيقة تضاعف حبه واخلاصه لها •• وصمم على عقد القران •• وقال يطمئن زبيدة المشدوهة •• لا تأبهى لعاطفه وزوجيا وأنا اعرف كيف اتعامل مع أصحاب الصفقات الخاسرة من هذا النوع •• ارتاحى يا خالة •• اذا كان لك بنت فقط فى الماضى •• فقد أصبح لك الآن ولد وبنت •

هذه القصة تسير فى ذات اتجاه القصة السابقة « عواطف أم » •• دقة تصوير مشاعر الأنثى وعلى الأخص عواطف الأمومة حتى لو كانت أمومة مصطنعة غير حقيقية •• والنهاية السعيدة التى تأتى فى ختام القصة بعد أن تتعقد الأمور وتتلبد الغيوم ••• كما أنها تتفق مع القصة الأولى « على طرفى نقيض » فى التعبير عن المضمون الانسانى •• ان مشكلتنا نحن البشر أننا

عندما نجد لا نستطيع وعندما نستطيع لا نجد .. كما تتفق معها أيضا فى كسرة الأحداث المتتالية فى فترات زمنية مختلفة .

غير أن أهم ما يستوقف النظر بالنسبة لهـذه القصة بالذات هو تأثر الأديبة هند عزوز بالأدب الفرنسى وعلى الأخص بقصص جى دى موباسان .

موضوع قصة « زبيدة » يذكرنى للوهلة الأولى بقصة موباسان « بين الحقول » التى تروى فيها قصـة زوجين ثريين حرما من نعمـة الانجاب أوقفا العربـة الفـاخرة التى كانا يستقلانها ونزلا بين الحقول حتى منزلين متواضعين لبعض الفـلاحين البسـطاء وتدور مساومة وتدور حوار وتقبل احدى الأسرتين ما رفضته الأخرى وتمت الصفقة وتسلمت السـيدة الثرية على الفور طفلا كان يجلس مع أبويه قرب المنزل وتعهدت بتبنيه والانفاق عليه مع تقديم معونة دائمـة لأسرته وتنطلق العربة بالزوجين وقد اكتملت سعادتهما بصحبة هذا الطفل الجميل .. ومرت الأيام وكبر الطفل وأصبح شابا مكتمل الرجولة ويأتى لزيـارة أسرته وتحتفـل

الأسرة بهذه الزيارة احتفالا كبيرا وتتميز الأسرة الأخرى غيظا ويثور ابنها لأن أهله رفضوا أن يكون هو هذا الطفل المتبنى .. سعيد الحظ ومن فرط ضيق هذا الابن الآخر يفتح باب المنزل ويغادره الى المجهول .

واضح أن هند عزوز قد تأثرت بجوهر القصة دون التفاصيل كما أن تأثرها بجى دى موباسان لا يقف عند حد الموضوع بل هو يتعداه الى الأسلوب والبناء القصصى بصفة عامة .. هذه المفاجأة التى جاءت فى نهاية القصة على لسان عادل العرس الثرى .. وذلك الصراع بين قوى الخير متمثلة فى زبيدة وزوجها وابنتهما المتبناه وحيدة من جهة وبين قوى الشر متمثلة فى فاطمة وزوجها من جهة أخرى هذه المفاجأة وذلك الصراع اللذان يعدان من ركائز بناء تلك القصة .. هما من أبرز سمات أدب جى دى موباسان وخاصة فى مجال القصة القصيرة .

وخلال تجوالنا مع هند عزوز فى الدرب الطويل نلتقى بنماذج بشرية مختلفة تمر بظروف نفسية

أو اجتماعية خاصة •• مثل آمال في قصة « الخائفة »
وآمال هذه زوجة وأم لعديد من الأولاد وموظفة
باحدى المصالح الحكوميه تنتابها الهواجس والمخاوف
وتتصور ان هناك من يتربص بها لقتلها وتعيش من
وقت لآخر لحظات من الرعب تفضل فيها الموت على
الحياة •• وحار في أمرها الطبيب النفسي وبقيت آمال
في المصحة أربعين يوما •• وقبل أن تغادر المصحة دعا
الطبيب زوجها للقاء منفرد صارحه فيه بحالة زوجته
وكاشفه بأسباب الأزمة أو المحنة النفسية التي مرت
بها وقال الطبيب لو كنت أنا مكانها لخلت الضباب دخان
مدافع والزهور المبعثرة ألغاما متفجرة ولاضطربت
أعصابي كما اضطربت أعصابها •

ويضع الطبيب يده على مكامن العلة •• الزوجة
أم لستة أطفال كبيرهم في عامه العاشر وصغيرهم في
شهره السادس وهي موظفة في قسم الحسابات بادارة
البريد وسيدة بيت تشرف على شئونه وتقوم بأهم
أعماله •• ان هي قامت بكل هذه المجهودات باختيارها
وحماس منها •• فان الجسم لا يحتمل ذلك •• الجسم

يتطلب الراحه والأعصاب تحتاج الى الهدوء والرقبه ..
واذا شاهدت فيلما بوليسيا وهى مجهدة فان اعصـــابها
لم تعد تحتمل أى شىء .. ويسأل الزوج عن العلاج ..
ويرد عليه الطبيب بان السبيل الى ذلك بدايته اضعاف
ذاكرتها مؤقتا حتى تبهت الصـــور التى رسمها الخوف
وجسمها الى أن تشلك لها حقيقة .. وفى نفس الوقت
نغذى جسمها بفيتامينات تقوى أعصاب المخ وتعالج
الضعف العام .

ويضيف الطبيب .. واذا شفيت الآن شفاء كاملا
فالأجدر بها تجنب الحمل والولادة اذ لا يخفى ما تجره
هذه الفترة من اضطرابات نفسية يخشى أن تعود على
أثرها الى حالتها السابقه ثم ان مثابرتها على العمـــل
شىء له أهميته فى نظرى .. وهى أم لستة أطفال ..
فهل ستكون مطمئنة حقا عندما تكون فى عملهـــا ان
المرأة التى يصبح لهـــا من الأولاد كثرة لا يمـــكن أن
يكون مكانها غير المنزل وهنا نتدخل الزوج فى الحديث ..
ان اقتصاديتنا لا تسمح لنا بالاقتصار على دخل واحد
مع أنها ذات ثقافة ومقدرة .

ويرد الطبيب .. وهذا سبب من الأسباب التى من أجلها دعت الحكومة الى الاقتصاد فى النسل أو ما يسمى بتنظيم العائلة .. فمن صالح العائلة اقتصاديا ومن صالح البلاد اجتماعيا أن تشارك المرأة فى الأعمال الخارجية حتى تفيد وتستفيد من ثقافتها ومقدرتها .. وينصح الطبيب فى خاتمة المطاف بان تتجنب الزوجة ولو الى حين مشاهدة الأفلام البوليسية وبذلك تقضى على بذور الهواجس والأفكار السيئة التى تعشش فى أعماقها .

هذه الصورة القصصية ولا أقول القصة أقرب ما تكون الى التحقيق الصحفى أو التقرير العلمى أو خطبة اجتماعية يضرب فيها الخطيب الأمثال على أهمية تحديد النسل ويؤكد على حق المرأة المتعلمة فى تقلد الوظائف العامة ويحذر من مخاطر الافراط فى مشاهدة الأفلام البوليسية .. وهى المحاور الثلاثة التى دارت حولها هذه الصورة القصصية .

واذا تجاوزنا عن عدم اكتمال البناء القصصى فاننا لا نلبث أن نصطدم بالأسلوب النثرى التقريرى المباشر

الذى يصطبغ بالوعظ والارشاد الصريحين وهذا الأسلوب يسلب القصة ـ أى قصه ـ آعز مقوماتها لمسة الفن وروعة التعبير ولا يظننى أحد اننى أجادل فى حق الأديب فى اعتناق رأى معين أو الترويج لفكرة ما ، وانما كل ذلك رهن بان تأتى الدعوة الى الرأى أو الفكرة من خلال نسيج القصة أو المسرحية ومجريات أحداثها دون ما ثمة افتعال أو حشو ودون ترديد لعبارات الوعظ والارشاد •• وذلك ما عمد اليه الكاتب النرويجى هنريك ابسن الذى روج لفكرة تحرير المرأة مما كان يكبلها به المجتمع النرويجى فى عصره من قيود وأغلال •• وذلك من خلال مسرحيتى « بيت الدمية » و « السيدة البحرية » والمسرحيتان خاليتان تماما من أى تعبير انشائى أو تقريرى أو حتى عبارة من عبارات النصح والارشاد •• ومع ذلك تعدان قمة فى البناء المسرحى المتكامل ولازالتا تدرسان حتى الآن فى كثير من جامعات العالم باعتبارهما نموذجين للكتابة المسرحية الجادة •

وبجانب القصص التى تصور مواقف ومشكلات

اجتماعية تحوى المجموعه بعض القصص ذات الطابع الانسانى ومن ذلك قصة « الحمامتان » وبطل هـذه القصة نبيل صبى صغير فى مراحل دراسته الأولى أوتى حسا مرهفا جعله يتعاطف مع الطيور التى تتم تربيتها فى المنزل مثل الدجـاج والحمام •• وعندما كسر جناح دجاجة أصابه الهلع وصمم على عرضها على طبيب يداوى الجرح ويعالج الكسر •• وكان شـديد الولع بزوج من الحمام يقوم على تربيته وقد شغله الاهتمـام بهذا الزوج من الحمام عن دروسه •• وتتآمر الأم والأب على التخلص من زوج الحمام هـذا •• لكن دون أن يصدم الصغير فى مشاعره ويأخذ الوالد ابنه فى جولة خارج المنزل ويعده ويمنيه بما يثلج صـدره وعندما يعود الاثنان الى المنزل بعد حين يشير الأب الى الأم أن الخطة قد نجحت فيطمئن بالها وتفهم ان الأب قد اقنعه بذبح الحمامتين •• ويفتح نبيل الثلاجة فجـأة ليتناول بعض المـاء ويكاد يصعق اذ يجد الحمامتين مذبوحتين •• وتواجهه والدته •• ألم تكن موافقـا على ذبحهما •• ويجىء رد نبيل متخاذلا كان يود توديع

الحمامتين .. تقبيلهما على الأقل قبل أن نذبحا .. ثم انحنى يقبل الحمامتين لحما طريا .

ونضيف المؤلفة الى ذلك .. أن نبيلا لم يمرض ولم يصدم بل ثابر على الدرس ونجح فى الامتحان وأصبح اليوم رجلا فعلا يعرف كيف يعدل عن ميوله ويقابل المكاره بصدر رحب وصبر جميل .

هذه اللمسات الانسانية الرقيقة التى تمثلت فى جو الألفة بين الصبى الصغير والحمامتين والدجاجة من قبل وشدة الحرص عليها والتعلق بها رفعت كثيرا من قدر القصة كما أن القصة اتسمت بحسن العرض والتحليل . واجادة رسم الشخصيات .. لكن ومعذرة للأديبة هند عزوز ـ كنت أود لو أنها حذفت تماما الجزء الأخير من القصة الذى تحدثت فيه عن النجاح فى الامتحان وتحول الصبى نبيل الى رجل يقارع الحياة ويتحدى المكاره .

هذا الجزء الأخير فى رأينا لم يضف جديدا الى القصة بل هو حشو انتقص من قدرها ففى هذا

الجزء انزلقت المؤلفة الى العبارات الخطابية التقريرية التى تتسم بروح الوعظ والارشاد الصريحين كما أنها زحمت القصة بأحداث وأضافت فترات زمنية تتجافى مع طبيعة القصة القصيرة على النحو الذى ألمحنا اليه من قبل •

وأيا كان الرأى فى مستويات القصص التى زخرت بها مجموعة الدرب الطويل فان الذى لا مراء فيه ان عند عروز هى نبت عربى خالص نشأ وترعرع فى أرض عربيـة هى تونس الخضراء وأنها قد ارتوت من معين الثقافة العربية أكثر بكثير مما ارتوت من معين الثقافة الغربية وانها صاحبة قلم جاد وشريف يستحق التقدير والاحترام •

الجزائـــر

مفـــدى زكريـــا
واللهب المقدس

الشعر العربي في شمال افريقيا
مفدى زكريا
واللهب المقدس

الشاعر مفدى زكريا لقبه الأدبي « ابن تومرت » ولقبه النضالي « شاعر الثوره الجزائريه » ولد في الجزائر في شهر أبريل ١٩١٣ وتلقى علومه في مدارس الجزائر ثم معهد الزيتونة بتونس وقد شارك في معارك تحرير الجزائر ودخل السجن خمس مرات متوالية الى أن فر منه في فبراير ١٩٥٩ .

وقد اهدى الشاعر ديوانه « اللهب المقدس » الى الدقيقة الواحدة من فاتح نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٥٤ الى أول أصبع جزائرية حركها الأزل وحفظ بها القدر

الرابض على زناد البعث لتنطلق القذيفة المسحورة الأولى فتسعر اللهب المقدس فى دروب بلاده الخالدة وأحراشها السكرى ورمالها العطشى وجبالها العضبى .

قسم الشاعر ديوانه الى خمسة فصول من أعماق بربروس ، تسابيح الخلود ، نار ونور ، نبؤات شاعر ، من وحى الشرق .

الفصل الأول « من أعماق بربروس » هو أكثر فصول الديوان عناية بالثورة الجزائرية وأحداثها ويكاد يكون هو المعنى بعنوان « اللهب المقدس » .

وبربروس هذا هو السجن الكبير الذى أعده المستعمرون للوطنيين من أبناء البلاد تنفذ فيه أحكام السجن والاعدام وتجرى تحت سقفه أبشع صور التعذيب وقد أحسنت الحكومة الوطنية اذ أحالته بعد الاستقلال الى متحف تاريخى يروى مرحلة من مراحل كفاح الشعب الجزائرى .

من أعماق بربروس انطلق الشاعر فى الهزيع الأخير من ليل ١٨ يوليو سنة ١٩٥٥ وهو مكبل بالقيود ينشد

قصيدة « الذبيح الصاعد » أثناء تنفيذ حكم الاعدام فى أول شهيد دشن المقصلة المرحوم « أحمد زبان » بدأ الشاعر بتصـوير الشهيد وهو يرتقى درجات المقصله :

قام يختــال كالمسيح وئيدا
يتهــادى نشوان يتلو النشيدا

باسم الثغر كالمـلائك أو كالطفل
يستقبل الصـباح الجديـدا

شامخـا انفـه جلالا وتيهـا
رافعا رأسـه يناجى الخلودا

رافلا فى خلاخل زغردت تملأ
من لحنهـا الفضـاء البعيدا

ويعنى الشاعر بتسجيل الكلمات الاخيرة للبطـل الشهيد التى يوجه الحديث فيها الى جلاديه والى الموت ويعبر فيها عن عقيدته التى لا تتزعزع فى آن استشهاده حياة لبلاده •

اشنقونى فلسـت اخشى حبـالا
واصلبونى فلست اخشى حديدا
وامتثل سافرا محياك جـلا
دى ولا تلتثم فلسـت حقـودا

واقض يا موت فى ما أنت قـاض
أنـا راض ان عاش شعبى سعيدا

أنـا ان مت فالجزائـر تحيـا
حـرة مسـتقلة لن تبيـدا

ويعنى الشـاعر بابراز الحق والعدل فى معركة التحرير فيتساءل :

أمن العدل صاحب الدار يعرى
وغريب يحتل قصرا مشـيدا

ويجوع ابنهـا فيعدم قوتـا
وينال الدخيـل عيشا رغيدا

وفى نهاية القصيدة يعود الشاعر الى ذكر الشهيد (زبان) فخاطبه ورفاقه مؤكدا لهم أن استشهادهم قد جعل المجاهدين أقوى عزما وأكثر اصرارا على بلوغ الغاية وانهم يعاهدونهم على الجهاد حتى النصر ويختم قصيدته هكذا :

يا ((زبانا)) ويا رفاق ((زبانا))
عشتم كالوجود دهـرا مديدا
كل من فى البلاد أضحى ((زبانا))
وتمنى بأن يموت ((شـهيدا))

أنتم يا رفـاق قربـان شــعب
كنتم البعث فيـه والتجديدا

فاقبلوها ابتهالة صنع الرشاش
أوزانهـا فصـارت قصــيدا

واستريحوا الى جـوار كريم
واطمئنوا فاننـا لن نحيـدا

وكنت أود أن اعرض القصيدة كاملة لولا انهـا تقع فى ٦٨ ستا وهى تعد فى مجموعها من أجود قصائد الديوان ولعل مرد ذلك فى المرتبة الأولى الى أن المؤلف أجاد اختيار اللقطات الانسانيـة التى جعلهـا محورا لقصيدته • ان اللحظة التى يقف فيهـا الانسـان على مشارف الأبدية يودع الحيـاة لحظة رهيبة لاشـك ويزيد من رهبتها وجلالها فى هـذه اللقطة قسوة الظلم الذى يتعرض معه صاحب الحق لابشع أنواع العقوبات التى ينزلها الانسان بأخيه الانسان عقوبة الموت •

ويزيد من رهبتها وجلالها أيضا الغاية التى جـاد من أجلها الشهيد بروحه ومظـاهر الايمان والعظمـة النفسية التى لازمته حتى آخر لحظة من لحظات حياته •

ذلك بالاضافة الى وجود الشاعر وحيدا فى زنزانة فى ذات السجن على مقربة من مكان المأساة وفى حالة نفسية مهيأة للانفعال بالحدث •

كل ذلك أثرى القصيدة وأمدها بكثير من مقومات النجاح •

الصدق الفنى ، قوة الانفعال ، البراعة فى التصوير والعرض •

وأنه ولئن كان الشاعر قد تشعبت به السبل وهو يتحدث عن ثورة الجزائر ثم عاد فى النهاية الى موضوع القصيدة الأصلى وهو الحديث عن الشهيد زبان الا أن ذلك لم يسلب القصيدة وحدتها الفنية لأن أبيات القصيدة تشدها الى بعضها البعض وحدة عاطفية ووجدانية ، ذلك بالاضافة الى أن أجزاء القصيدة تعد فى نهاية الأمر بمثابة فروع لموضوع واحد هو تضحية الشعب الجزائرى وكفاحه فى سبيل حريته واستقلاله وكان الحديث عن استشهاد أحمد زبان بمثابة المدخل الى الحديث عن كفاح الشعب بأسره •

لكن والحق يقال : القصيدة لا تسير على مستوى فنى واحد ذلك أن الشاعر بعد أن أجاد تصوير موقف الشهيد وعواطفه وانفعالاته انزلق الى الأسلوب الانشائى ، بل وعندما استنفد طاقته الفنية فى تصوير اللوحات الأولى فى القصيدة لم يجد حرجا فى أن يستلهم من قصيدة شهيرة لحافظ ابراهيم بعض المعانى وحتى بعض الألفاظ .

أمن العدل صاحب الدار يعرى
وغريب يحتل قصرا مشيدا

هذا البيت لا يعدو أن يكون ترديدا للمعانى التى ترددت فى قصيدة حافظ (مصر تتحدث عن نفسها) وعلى الأخص هذا البيت :

أمن العدل انهم يردون الماء
صفوا وان يكدر وردى ..

وان كان بيت حافظ يتميز بالرمز الذى أتاح له الشمول فى المعنى فحافظ رمز فى البيت الى صفو الحياة وتكديرها بصفو النبع وتكديره .. وصفو الحياة يشمل كافة ألوان المتعة والسعادة والتكدير يشمل كافة

ألوان الحرمان والشقاء فى حين أن مفدى زكريا قصر المعنى فى البيت على المقارنة بين العرى والعيش فى القصر المشيد .

والقصيدة التالية فى الديوان « زنزانة العذاب رقم ٧٣ » لها بدورها قصة فقد زج بالشاعر فى زنزانة مظلمة بسجن بربروس اثر ان أسلمته زبانية العذاب للسجانين يوم ٢٨ أبريل (نيسان ١٩٥٥) فهاجت فى أعماقه المواجد وانطلق ينشد فى ظلام الزنزانة :

سيان عندى مفتوح ومنغلق
يا سجن بابك أم شدت به الحلق

أم السياط بها الجلاد يلهبنى
أم خازن النار يكوينى فاصطفق

والحوض حوض وان شتى منابعه
ألقى الى القعر أم أسقى فانشرق

سرى عظيم فلا التعذيب يسمح لى
نطقا ورب ضعاف دون ذا نطقوا

والبيت الأول من الممكن أن يرمز الى معنى كبير لا أدرى هل استهدفه الشاعر أم لم يهدف اليه ذلك أن

الجزائر كلها فى ذلك الوقت سنة ١٩٥٥ كانت فى قبضة الاستعمار بمثابة السجن الكبير فيسوى عند الوطنى الأبى أن يغلق عليه باب السجن الصغير أم يخرج منه الى السجن الكبير .

والأبيـات التى جاءت بعد ذلك تصـور جوانب متعددة من التعـذيب الوحشى الذى كان يتعرض له الأحـرار فى السـجون ومع ذلك فـلم يصبهم وهن ولا ضعف ولم يستطع الجلادون أن ينتزعوا منه أسرار المعركة .. ويعود الى مخاطبة السجن ثانية :

ياسجن .. ما أنت لاأخشاك تعرفنى
من بحذق البحر لايحذق به الغرق

انى بلوتك فى ضيق وفى سـعة
وذقت كأسـك لا حقد ولا حنق

أنـام ملء عيونى غبطـة ورضى
على صياصـيك لا هم ولا قلـق

وهذه الأبيات تدل بوضـوح على مدى وفـاء الشاعر وتمسكه بتقاليد الشعر العربى القديم فهو فى البيت الأول استعمل ضربـا من ضروب البـلاغة هو

الاطناب شمل الشطر الثانى بأكمله (من يحذق البحر لا يحذق به الغرق) .

وفى البيت الثانى استعمل ضربا من ضروب البديع هو الطباق (ضيق وسعة) .

أما البيت الثالث فقد بلغ وفاؤه فيه القمة لأبى الطب المتنبى وهو القائل :

أنام ملء جفونى عن شـواردها

ويسهر الخلق جراهـا ويختصم

وقد خصص الشاعر الفصـل الثانى من الديوان « تسابيح الخلود » للأناشيد الوطنيـة التى صاغهـا بمناسبة حركة التحرير ومن ذلك النشيد الرسمى للثورة الجزائرية « فاشهدوا » الذى نظمـه بسجن بربروس بتاريخ ٢٥ أبريل ١٩٥٥ ويقول فى مطلعه :

قسـما بالنـازلات المـاحقات

والدمـاء الزاكيات الدافقـات

والبنود اللامعـات الخافقـات

فى الجبال الشامخات الشاهقات

نحن ثرنـا فحيـاة أو ممـات

وعقدنا العزم أن تحيـا الجزائر

فاشـــهدوا

والذى يبين من خــلال الأناشــيد التى ضمنها المؤلف هذا الفصل أنه كان يتابع أحداث ثورة التحرير بوجدانه وقلمــه وأنه قدم للثورة من وراء القضـــبان خلاصة فنه وفكره ليؤدى دوره فى الهاب المشاعر وتشحذ العزائم والصمود فى المعركة حتى النصر •

والأناشيد بهذا الوضـــع تعد جزءا لا يتجزأ من تاريخ الثورة الجزائرية •

أما من الناحية الفنية فهى تدخل فى عداد قصـــائد المناسبات •• لكنها ليست على أية حال مناسبة تخص فردا بعينه أو أسرة بذاتها ولكنها تخص شعبا بأسره ولعل هـــذا هو الذى جعل لتلك القصائد والأناشيد قيمة تبقى بها على مر الأيام رغم انتهاء حرب التحرير •

هـــذا عن المضمون أما عن الأســلوب فقد عمد الشاعر فى هذه القصائد الى التعبير المباشر ولجــأ الى

الأسلوب الحماسى الخطـابى واستخدم الألفاظ ذات الجرس الخاص النى تلائم الانشاد الجماعى وكان فى هـذا منطقيا مع نفسه لأن هـذه القصـائد لم تكتب أساسا لتنشر على النـاس فى صحيفة أو كتـاب وانما فاضت بها مشاعر الشاعر وجرى بها قلمه لتكون أناشيد جماعية يرددها الأحرار فى الغابات والوديان وفوق قمم الجبال وعند السفوح وفى كل مكان كان جزءا من أرض المعركة ٠

وقد نضمن الفصل النالت « نور ونار » مجموعة قصائد مسوعة ندور حول كفاح الشعب الجزائرى أثناء المعـركة ٠

ومن أجود القصائد النى جاءت فى هذا الفصل قصيدة أنـا ثائر التى نظمها الشاعر أثنـاء فراره من السجن فى طريقـه الى المغرب سـنة ١٩٥٠ نقول فى مطلعهـا :

فى الحنابـا

وسـواد الليـل قـاتم

مالت الألوان سـكرى

ثمــــلات

أودعتهــا مهجــة الأقــــدار سرا

فى الزوايــــا

بين ســـهران ونـــائم

ونجــوم الليـــل حيرى

حالمــــات

ضارعات بث فيها الغيب أمــرا

والمنايــــا

بين مظـــلوم وظـــالم

مثقـــلات ضقن صـــبرا

جانمـــــات

ظللن يرقبن متى يطلعن فجـــرا

قام كالمـــارد .. يرتـــاد المنايـــا

وتهـــــادى

يمــــلأ العـــالم بشرى

وتحدى الدهر لا يخشى الرزايـــا

وتمـــادى

يغمـر الاكـوان عطـــرا

ومضى يبنى على هـام الضحايا

وننـــادى

يلهـم التـاريخ ســـفرا

هذه القصيدة أو بالأحرى هـذه الأبيات منهـا تستحق منا أن نقف أمامها قليلا نتأملها ونتأمل مواطن الجمال منها .

لقد رمز الشاعر الى الحالة التى سبقت قيام الثورة الجزائرية بالليل القاتم والى الانطلاقة الأولى للثورة باشراقة الفجر .. لكنه لم يعمد الى صياغة ذلك فى أسلوب خطابى حماسى وانما عمد الى أسلوب أقرب ما يكون الى الأسلوب القصصى أفرغ فيه كل ما أوحت اليه به الثورة والليل والفرار من معـان .. فجـاءت صوره الشعرية وتعبيراته على السواء .. ذات حظ وافر من الاجادة والأصالة الفنية .

لقد اجاد تصوير الليل .. السواد قاتم والنجوم

حيرى .. والناس فى أحشائه فريقان سهران ونائم .. ومظلوم وظالم .

وفد حفلت الأبيات بعديد من الصور المبتكرة .

الاكوان نميل وهى سكرى فتودع مهجة الأقدار سرا من الأسرار والغيب يبعث فى النجـوم الحالمـات الضارعات أمرا جللا .

والمنايا وقد ضقن بالظلم يجنسن فى انتظار هـذا السر ودلك الأمر .. اشراقة الفجر وقيام الثورة .

وقد تميزت تعبيرات الشـاعر وألفاظه بالجزاله والرقة وحـلاوة الجرس : الحنايا ، مالت الاكوان ، مهجة الأقدار ، حيرى ، حالمـات ، ضارعات ، تهادى ، بشرى ، يغمر الاكوان ، يلهم التاريخ .

هذه القصيدة تقف جنبا الى جنب مع قصـيدة « الذبيح الصاعد » التى صـدر بها الشاعر ديوانـه ولا أغالى اذا قلت انها تعد فى نظرنا قمة انتاج مفدى زكريا فى هذا الديوان .. ومن يدرى ففد تكون قمه انتاجه الشعرى كله !!

والفصل الرابع من الديوان بعنوان « نبؤات شاعر » وهذا الفصل يحوى ثلاث قصائد فقط أولاها « من يشترى الخلد ان الله بائعه » .. وقد ألقاها الشاعر بمناسبة تدشين دار ابن باديس للطلبة الجزائريين التابعين لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بقسطنطينه فى ٢٥ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٥٣ أى قبل اندلاع « اللهب المقدس » بما يقرب من عام يقول فيها :

يا شاعر الخلد حق اليوم تخليد
وخالد الشعر فم أين الأناشيد

صفها على المحفل الجبار قافية
سمع لها من فم الأجيال ترديد

وانزل بدارات (سرسا) مطرقا أدبا
فبين أضلعها آباؤنا الصيد

وامش الهوينا ففى احشائها أمم
وفى جوانحها أسد مغاميد

ولعل القارىء يلمس ما فى هذه القصيدة من فتور فى العاطفة وفقر فى الصور الشعرية وتكلف فى

التعبير وتأرجح الشاعر بين معاني أبي العلاء في قصيدته « غير مجد في ملتي واعتقادي » وصياغة المتنبي في قصيدته « عيد بأية حال عدت يا عيد » .

وقد بدأ الشاعر الفصل الخامس «من وحي الشرق» بقصيدة ألقاها في مهرجان الشعر العربي الثالث الذي أقامه المجلس الأعلى للفنون والآداب في ٢٣ سبتمبر (أيلول) ١٩٦١ بعنوان رسالة الشعر في الدنيا مقدسة وختمه بقصيدة مطولة بعنوان « فلسطين على الصلب » وهي حوار بين الشاعر وفلسطين والعرب يبدأها هكذا :

أناديك في الصرصر العاتيه
وبين قواصفها الذاريـة

وأدعوك بين أزيز الرعود
وبين جماجمها الجاثيـة

وأذكر جرحك في حربنا
وفي ثورة المغرب الثانيه

وبعد أن يطول بالشاعر الحديث ترد عليه فلسطين :

أيــا شــاعر العــرب ذكرننى
وهجــت جراحــانى الداميــه

الى أن تفول عن قضيتها :

فلو كان لى آمــر ندبيرهــا
لمــا احترت فى أمرها نانيــه
وكنت الجــــزائر فى زحفهــا
وحققت ــ بالشــعب ــ آماليــه
والهبتهــا فــوق أرض الحمى
وحــررت بالشــعب أوطانيــه
وغســلت عــارا على جبهتى
وأعــليت بالهــامه الحانيـــه

ومن الحوار الذى أورده على لسان العرب هــذه الأبيــات :

فلســـطين لا تيــأسى اننى
ســأصلح فى الشرق اخطائيه
لئن خنت فيمــا مضى أنــه
يوبخنى ــ اليــوم ــ وجدانيه

الى أن يقول :

أنا الشعب والشعب لا ينثنى
أنا الحر ان حلت الداهيه

ويختتم الشاعر قصيدته والديوان كله بهذين البيتين على لسانه :

فان تنصروا الله ينصركم
وينجز أمانيكم الغاليه

ولن يخلف الله ميعاده
ولا ريب ساعتنا آتيه

ورغم الروح الخطابيه التى تشيع فى جنبات القصيدة فان الشاعر استطاع أن يبعث فيها الدفء والحياة بهذا الأسلوب الحوارى الذى اتاح له الفرصة لكى يعرض قضية فلسطين من زواياها المختلفه دون أن يتسرب الملل • الى القارىء أو السامع •

ولم ينس الشاعر أن يؤكد — ومعركة تحرير الجزائر على أشدها — أن الطريق الذى سارت فيه الجزائر هو

الطريق الوحيد المؤدى الى النصر وانه لابد للعرب من سلوكه اذا ما أرادوا تحرير فلسطين من غاصبيها .

وقد بدت آثار ثقافة الشاعر الدينية فى معهد الزيتونة واضحة فى هذه القصيدة فيما اقتبسه من القرآن الكريم على النحو الذى رأيناه فى الأبيات التى عرضناها وعلى الأخص فى قوله الصرصر العاتية — فان تنصروا الله ينصركم — لن يخلف الله ميعاده .

وبعد فهذا هو « مفدى زكريا » أول شاعر جزائرى قدم الأمة العربية ديوانا مطبوعا من الشعر العربى .

وهذا هو اللهب المقدس تسجيل حافل للجليل والهام من أحداث الثورة الجزائرية وقد يختلف الرأى حول مستويات الكتاب الفنية ويشتد الجدل حول بعض القصائد بالذات لكن الذى لا مراء فيه ولا خلاف حوله هو أن هذا الديوان يعد لبنة غالية وعزيزة فى صرح الشعر العربى فى المغرب والمشرق على السواء .

وألف تحية لشعراء الجزائر ،،

المغرب

محمد الصباغ

وفوارة الظمأ

أضواء على أدب المغرب العربى
الحس المرهف فى ((فوارة الظمأ))

من الأمور المـألوفة فى المجال الأدبى أن يصدر من وقت لآخر كتـاب يضم مجموعة مقـالات تعالج موضوعا واحدا أو قضية معينة بذاتها .. أما أن يضم كتاب واحد مقالات مختلفة تتناول موضوعات متباينة فأمر لا يجرؤ عليه الا القليل من الأدباء ، ذلك أن مثل هذا الكتاب تتطلب مقدرة خاصة على اختيار الموضوع وعرضه وصياغته بحيث يكون لكل مقال قيمة ذاتيـة تبقى على الدهر ولا يؤثر فيها مرور الأيام والليالى ومن قبيل ذلك على سبيل المثال وليس الحصر فيض خاطر

أحمد أمين ووحى قلم الرافعى وعبرات ونظرات المنفلوطى ووحى ورسالة الزيات .

لذلك كنت مشفقا على الأديب المغربى الأستاذ محمد الصباغ عندما أخذت أطالع كتابه « فوارة الظمأ » . ووجدته يضم ما يقرب من خمسين مقالا كتبت فى أوقات متباعدة وتعالج موضوعات مختلفة كنت مشفقا عليه أن يكون قد اكتفى بتضمين كتابه بعض مشاهداته اليومية العابرة بأسلوب يقرب من أسلوب الصحف اليومية لكننى ما كدت أغوص بين دفتى الكتاب حتى وجدتنى أمام فنان صادق الحس بارع اللفتات يكتب بوجدانه ومشاعره ويفلسف كل شىء .. الحياة والموت .. الربيع والخريف .. الجبال والسهول .. ويصوغ كل ذلك فى أسلوب عربى خالص ويتسم بالرشاقة والجزالة معا .

وفى مقال « خلود » وهو أول مقال فى المجموعة يعبر المؤلف صادقا عن شعور الأديب الذى يعتز برسالته فى الحياة وتهفو نفسه الى أعز ما تعطيه الحياة للأديب الخلود .

(كل ما فى الوجـود تتعرى .. حتى النسـمة المترقرقة على خدود الأغصـان ، حتى آشـباح الوهم السارية فى مشاعر الظلمة الواهنة ، حتى النأمة التائهة فى مزالق الصمت الرهيب .

عاريا أرى ما فى الوجود وعاريا ألمسه .. فالزمن القديم والحديث فى ريشتى ألوان وأصباغ أرسم بهـا لوحة الخلود ، والمكان البعيد والقريب عجينة من طين أنفخ فيها فتتحرك بالحيـاة ، والمطلق العميق والمدى السحيق زجاجتان أرى من خلالهما نطفة الحياة تفرخ وتلد وتتزاوج .

رقة خيال : أخلق عالمـا يموج بالسحر والحمـام وصغار العصافير .

ويقظة حس : أحصد النجوم من مزارع الضوء وأختلس الأحلام من مضاجع الصبايا ومراقص الأعراس مشيدا لكم منهـا قصـورا تروحون وتغدون وأحيانا تطيشون منها الى فراغ الزمن) .

ويستشعر الأديب المرهف الحس ان الخلود الذى

يحلم به لكتاباته لن يشـهده فى حياته فيصـدح وهو يعنصره الألم (غدا سيهوى جسدى من شرفة النجوم • فينكسر على الأرض شظايا عطر وسر سـؤال مبهم وستظل العوالم التى اكتشفتها لكم خالدة ، وستظلون أنتم تحيون فى عرصاتها الغيبية كلما فاح الزهر •• ولمع نجم وغرد طير وألقى سؤال ••) •

وبقدر ما يعشق الأديب الحياة ويتغنى بها بقدر ما يعز عليه فراقها فلا غرو أن يعاود أديبنا الحديث عن الموت فى مقال آخر بعنوان « هكذا اخترت منيتى » •

(••• وستغرب الشمس على وأنـا تحت ملاءات التراب جذرا من الجذور وسيطلع القمر كما كان يطلع على ، وعلى النـاس بالأمس ضاحكا لامعا مستبشرا وسيبقى نسيم الفجر ناشرا من جيب ضـوئه النـدى والفراشات على الحقول والروابى بسخاء وسيظل طريقى الذى أسلكه من بيتى الى مكتبى فى الصباح والمساء فى زحمة من الناس والدواب والسيارات ، وستبقى أمى وأمى وحدها ستبقى منتظرة على عتبة البيت••عودتى•

وفجأة بدون مقاومة منى ولا اعتراض ولا احتجاج وبدون ما سبب سأختفى مكفنا بالوحدة والسكينة ومشيعا بمناديل الورد والفل وأطفال النجوم ونبات الجداول .. وفى الحال سأتحول الى نبأ فى جريدة والى عبارات نعى فى رسالة والى حديث يدور بين أصدقائى فى الأسابيع الأولى كلما اجتمعوا ..) .

ويتصور المؤلف أن الحياة لابد أن ستعوض بلاده عنه بطفل جميل يقضى أعوامه الأولى فى الغابه ثم يتحول عنها الى المدينة يسير على دربه ويحمل رسالته .

(فى ذلك اليوم وفى الساعة الخامسة صباحا منه . سيلقى الفجر مع الندى فى حدائق بلادى طفلا ستكسوه الزهور بأكمامها وسيطعمه البنفسج من ذوب خدوده ، سيعيش فى الغاب مدة طويلة تائها فى الوهاد وشعاب السهول والأوديه ثم يدخل المدينة منتصرا .

احفظوا هذا التاريخ ، احفظوه وترقبوه ، وانتظروا ولادة هذا الطفل . هكذا اخترت يوم موتى : وهكذا اخترت منيتى فلقحتها بولادة هذا الطفل .

اخترتهـــا من بين جميـــع الأشـــكال والألـــوان ..
والأوضـــاع ، ومن عديد الظروف وكتبت بها وصـــية
الموت والحياة) .

وأمام ســـتار الغيب يقف المؤلف حائـــرا مشفقا
مترددا يود لو استطاع أن يمد يديه فيزيح تلك الحجب
والأستار ويروى ظمأه الى سره العميق فيخاطبه فى مقال
بعنوان (افتح لى بابك أيها الغيب) .

(بخيالى حفرت الموج والضوء والنجم وصفاء
الندى وغروب المنتهى فى أحداث الشفق كغروب طول
الصفصافة السامقة فى مجرى النسيم . لقد مللت المسير
وتورمت رجـــلاى من بعد الطريق وليس لى دليـــل
ولا قطرة زيت فى سراجى ولا نبع ولا رفيق ولا حبيب
ولا خبر عن هـــذه المجاهل والقفار والســـؤال على
لسانى شعلة تحرقنى والمفاتيح فى يمناى تقلقنى وتعذبنى
وتزرع الصدأ فى عينى .

أين أنـــا أجبنى أيها الطريق ؟ .. بمفاتيحى فتحت
أبوابـــا ونوافذ وسراديب وشـــقوقا وسطوحا وسرائر
أجسام مختلفة مفتشا عن ذلك المجهول صائحا :

أين أنت أيها السر الكبير العميق ؟ •

أرنى وجهك ايها الغيب • انى فى حيرتى وذهولى أتضرع واتوسل اليك حنانك وعطفك •• أحس بك وبخطواتك فى مجاهل كيانى تأكل فواكه قلبى ونشرب من غدير دمى ونستريح على لحاف لحمى وفى دفء عروقى تلمس بأصابعى وترى بعينى وتحس باحساسى ••)

ويختم المؤلف المقال بهذه الكلمات :

(أمامك أنا ، فافتح لى بابك أيها الغيب ، فلقد مللت المسير وجف حلقى وليست لى فوارة أرتوى منها سوى فوارة عرقى واعيائى وذهنى وظمئى الشديد الى سرك أيها الرفيق العنيد ، أيها الغيب العميق •)

ويهتز الأديب الصباغ لجمال الطبيعة فى بلاده وهى بشهادة السياح من أجمل بلاد العالم وفى تطوان حيث قضى أيام صباه وجانبا من شبابه يتنقل بين الجبال مخاطبا اياها فى مقال « جبال تطوان » :

فى الصباح أنت أمواج فل ورغى وفى الظهيرة

براكين تقذف جمر القرنفل وفى المساء قوافل من جمال نسير متجهه نحو الغروب وهى تجتر أعشاب النور .
كم من مرة وقفت أمام قوافلك وهى تتحرك متئدة منزنه صامتة صابرة ومن حركاتها تتخذ أشكالا وصورا هى غايه فى الروعة والجمال ..)

ويستمر فى الحديث الى أن يقول (فطوبى لك يا جبال بلادى وأنت فى بيتى .. أنـام كل ليلة على أغرودة علاك وجمالك مستعرضا على ترنيمة اسطوانه تاريخك الذى هو تاريخى وتاريخ تطوان بل وتاريخ الوجـود ومستمعا الى سـكينتك الرماديـة العاليـة وهمسـاتك المسـتنة وأحـاديث كهوفك وأغـوارك وما نسلقك وجنح حولك وخطـا فوقـك وبنى بيوته وأعشاشه فيك من : طيور ونسور وحيوانات وحشرات فأتخيلك تارة وأنت منكمشة على نفسك خائفـة من البروق والرعود التى تجرى فوقك وتارة أخرى نمرحين وتداعبين الحجال والأرانب وأنت فى نشوة عارمة معها ومع باقى ناسك .

براكين تقذف جمر القرنفل وفى المساء قوافل من جمال نسير متجهه نحو الغروب وهى تجتر أعشاب النور .
كم من مرة وقفت أمام قوافلك وهى تتحرك متئدة متزنه صامتة صابرة ومن حركاتها تتخذ أشكالا وصورا هى غايه فى الروعة والجمال ..)

ويستمر فى الحديث الى أن يقول (فطوبى لك يا جبال بلادى وأنت فى بيتى .. أنام كل ليلة على أغرودة علاك وجمالك مستعرضا على ترنيمة اسطوانه تاريخك الذى هو تاريخى وتاريخ تطوان بل وتاريخ الوجود ومستمعا الى سكينتك الرمادية العالية وهمساتك المسننة وأحاديث كهوفك وأغوارك وما تسلقك وجنح حولك وخطا فوقك وبنى بيوته وأعشاشه فيك من : طيور ونسور وحيوانات وحشرات فأتخيلك تارة وأنت منكمشة على نفسك خائفة من البروق والرعود التى تجرى فوقك وتارة أخرى تمرحين وتداعبين الحجال والأرانب وأنت فى نشوة عارمة معها ومع باقى ناسك .

وكل ما فى بستانى يهش اليك ويطرب حتى سياجه وسع حدوده فتسمل الطبيعة كلها التى تهتز اليك محتفلة بقدومك .

وفى غمرة النشوة بلقاء الربيع يعلن (من يشهد ولادة الربيع ولو مرة فى حياته يعش فى ربيع دائم وفى شباب دائم لا تدركه الشيخوخة .

وانى أدعوكم جميعا الى قمم الجبال فى السنة المقبلة لتشاهدوا ولادة الربيع ولا تسألونى كيف سيولد) .

ويدور الزمن دورته ويأتى الصيف ومن بعده « الخريف » يحمل نباشير النساء ويقلب الشاعر وبريشة الفنان يستقبله المؤلف .

(وشى وشى بالغمام يا ريشة الفضاء سمائى .. وهبى يا رياح وخاصرى الأغصان والأعشاب وارقصى مع الأشجار وانسجى يا شمس على الحقول كفنها ودعى القمر يكتب على ضريحها :

« ماتت شهيدة الجمال وضحية الربيع ، ومن يمت
بداء الربيع يولد كل ربيع » .

وأنت يا أمطار قد طالت عطلتك فى المصايف على
الشواطىء وفى قمم الجبال فهلا عدت الى غدرانك
وأنهرك وسواقيك تحمل لها أوتارها وبضاره
شجوها ؟ .. وهل خلعت على نفسك حلة السراب التى
كنت تكتسين بها فى هجير الصيف وقيظه ورجعت الى
بذورك وأعشاش ترابك أنسيت وقد كان رشاشك على
موعد مع سقوط الأوراق ؟ .

هل هى الأشجار تذهب الحقول وتوشى ساسعات
الربى والمزارع بمناديل أوراقها ..)

وكما دعا الناس ليشهدوا ولادة الربيع دعاهم
ليخرجوا من مساكنهم ليستقبلوا الخريف (اخرجوا من
مساكنكم أيها الناس وافتحوا أبوابها ونوافذها
وشبابيكها لهوج الرياح لتعصف بأوراق نقوشها
وزخرفتها الكاذبة ومراياها الخادعة المنافقة وأسرتها

ووسائدها ذات الزوايا المبينة والشهوات الزائفة وموائدها المرتفعة بالجشع والنهم .

افتحوها على مصراعيها للرياح لتطوح بأوراقها المريضة وتجنح بها مع أوراق هذا الخريف الى دون رجعة . اخرجوا وسارعوا الى مطهر الرياح وافتحوا لها صدوركم واعرضوا عليها أجسادكم كيما تسقط أوراقكم الذابلة .

اخرجوا ولا تتأخروا لئلا يدخل عليكم فصل الشتاء وأجسامكم مازالت تحمل أوراقها المريضة الصفراء) .

وفى الكتاب حديث عن بعض الأدباء والشعرا المعروفين فى العالم مثل الشاعر اليونانى بالماس والكاتب الروسى انطون تشيكوف والشاعر الأسبانى خوان رامون خيمنث الذى فاز بجائزة نوبل ١٩٥٦ والموسيقار شوبان ونجوين دو الشاعر الفيتنامى المتوفى سنة ١٨٢٠ والشاعر العربى ايليا أبو ماضى .. ولكنه ليس حديث الناقد الدارس ولا المؤرخ المدقق وانما

حديث الفنان ينبع من القلب ويتجه الى القلب مجتازا أسـوار النقد وحـدود الدرس الى آفاق رحبـة من التأمل .

ومن حديثه عن بالمـاس بمناسبة الذكرى المئوية لمولده (كل شيء على أتم الاستعداد لاستقبالك أسرابا وأسرابا من حمـائم واقفة على بيـاض أجنحتها تلقط بمناقيرها حبات الزمن ودقائقه منتظرة ساعة قدومك لتجنح الى موكبك وتظلله ببياض هديلها وأنت راكب على غزال تعبر الألحان والأحـلام والطيوب وأعراض الألوان وأفراح الأنغام ونجوى البساتين قادما من زمن لا يقاس بالأيام والشهور ومن بلاد لا تحدها الأسوار ويحار فى موقعها ظن الظن .

بلاد هى فى النجمة اذا تلألأت وفى بال الدالية اذا تبرعمت بالفرح وفى قبضة النسيم على خصر السـنابل فى المراقص الشقراء .

هى فى بوح الوتـر ونوح الوله هى فى جريـان الدمعة واشراقة البسمة .

يتحركون أمامنا ومازالت الحياة بصراعها الدائم تحركهم على مشيئتها ٠

غريبا عن جميع الأجناس والأوطان كان ٠ ومن حدودها ألقى بأصابعه على زوايا الأرض الخمس فوطن فيها اسـمه ٠

من معدن الرخام كانت عظامه واصلابه ومن مد البحر كانت حياته ومن ذوبان الشـهد فى الخـلايا كان مماته ٠

لذلك أكدت لكم أنكم لو حفرتم على جمجمته لعثرتم فى تجاويفها على خلية تقطر بالشهد والنحل من حولها فى عرس مع شموع الربيع الملونة) ٠

ويتحدث المؤلف عن الشاعر ايليا أبو ماضى فيقول عنه انه (شمعة الأرز الذى اشعلته الحياة نورا حـادا فولج مخ الحيـاة وشرايينها المبثوثة فى حـدس الفن متطلعـا الى كنهها وخباياها متعرفـا على أشـواقها وأحلامها مفتحا حواسنا بشرارته لرؤية ما فار حوله من أسرار بنغم نلمس فيه قلبه وقلوبنا أيضا مع حنين يخلق

تلك هي البـلاد التي رفعتهـا على كل البلدان وحصنتها بالأبيض المنيع في مناهات الظن هأنتذا على بعد خمسة أحلام وحلاوة من فجر •

أحس بخطوات الغزال كنقر الأفـق على جبـل الصباح وانت تنشد أشعارك وتعيدها فيزقزق البياض في الرخام وتحلم أغصان الدفلى انها عساليج الياسـمين وتغنى الطواوبس للمرة الأولى في حياتها وتنشر ألوانها حدائق وأقواس قزح •

وبتحـدث عن تشبكوف أيضا بمناسـبة الذكرى المئويـة لمولده فيعجب من الذين يقولون انه ولد في ١٧ من يناير عام ١٨٦٠ وأنه عاش ستة وخمسين عاما (•• خطأ تقولون هـذا وتعتمدون عليه في دراساتكم لهذا الكاتب الذى عاش قبل هذا التاريخ بقرون وقرون وسكن أمصارا وبلدانا غريبة عنى وعنكم وخبر سكانها وأحـوالهم و نفذ الى مشـاعرهم وعواطفهم واهوائهم وميولهم كما عاصر أشخاصا لبسوا من دم ولا لحـم وبعث الى الحيـاة أقواما من طينـة العدم ما زالوا

فينا رغبة مداعبة الأطفال والغزلان ، واحساس يجعلنا نرى سراديب أجسامنا مضيئة كأجسام النجوم وتفاؤل بالحياة يبعث فينا نشوة الرجوع من حيث جئنـا لنولد ولادة جديدة) .

ويختم الحديث عنه بهذه الكلمات (فلبعد التراب الى التراب ولبق الوهج المستعصى على الزمن مضيئا دروب الحياة وفوارتها ـ ولتظل ابتسامته مشرقـة على مبسم الحزين) .

والكتاب أقرب ما يكون الى الشعر المنثور وهو فى مجموعه يسوده طابع التأمل .. المؤلف لا يقبل من الحياة ظاهرها وانما يغوص الى أعماقها بحثا عن كنهها وأسرارها .. وهو فى رحلته هـذه جريا وراء الأسرار ينظر الى كل ما يصادفه نظرة المتفرج الى رواية مسرحية شائقة عجيبة الأحداث . يجهد نفسه فى تحليل شخصياتها ومواقفهـا .

المؤلف ذو حس مرهف وقد أورثه هـذا الحس المرهف نبرة حزن لا تفارقه وهو يتحدث عن نفسـه

وعن الطبيعة وعن البشر وعن كل ما يزخر به الوجود .
وشدة الاحساس بعنصر المـأساة فى الحياة هو الخيط الذى يشد معظم مقالات الكتاب هـذا الاحساس يبدو ظاهرا واضحا عندما يتحدث عن الموت والخلود وأستار الغيب والأدباء والشعراء الذين رحلوا عن هـذا العالم ويستتر أحيانا وراء الألفاظ العذبة والصـور الجميلة عندما يتحدث عن الطبيعة .. لكن القارىء يستطيع أن يلمح فى سـهولة ويسر من بين ثنايا الألفاظ والصـور روح فنان تغنى بالحياة وأعطاها كل شىء ولم تعطـه الا « فوارة الظمأ » .

والذى يبدو واضحا من ثنايا الكتاب ان هنـاك عدة عوامل أثرت فى فكر المؤلف وأسلوبه .

العامل الأول تأثره بفكر شعراء المهجر وخاصـة الشاعر ايليا أبو ماضى ـ الذى لم يكتم اعجابه به ـ مما أدى الى أن يشيع فى الكتـاب نبرة التأمل التى أشرنا اليها ومحـاولة الاهتـداء الى فلسـفة لرحـلة الحياة .. فلسفة يحتاج اليها المفكر والشاعر والأديب

وتكون خير عزاء لهم ويخفف فى الوقت ذاته ما يصحب هذه الرحلة من آلام وأحزان •

العامل الثانى تأثره بالبيئة فجمال الطبيعة النادر فى المغرب هزه من الأعماق وجعله يعشق الطبيعة فى كل صورها عشقا صادقا تستوى فى ذلك قمم الجبال والسفوح •• الحقول والوديان •• الصباح والمساء •• الربيع والخريف •• الصيف والشتاء •• كل ما فى الطبيعة يأسر قلبه •• ويدفعه دفعا الى الامساك بالقلم والتعبير عن خلجات نفسه •

العامل الثالث هو تأثره بالأسلوب العربى الرصين فى مرحلة بداية التجديد فى الأدب العربى ـ ان صح هذا التعبير ـ فى النصف الأول من القرن العشرين وخاصة أسلوب الرافعى والمنفلوطى وهذا التأثر يبدو واضحا فى حلاوة اللفظ وجمال العبارة وطلاوة السرد لكن دون تعلق بالمحسنات اللفظية أو البديعية •

والقيمة الأدبية لهذا الكتاب تكمن فى أنه يجمع بين خيال الشاعر المرهف الحس ونبض الفنان الصادق

وأسلوب الأديب المتمكن وأنه يقدم عصير ثقافات متعددة فى لغة عربية جزلة وسهلة وسليمة •

واذا كان هناك ما يؤخذ على الكتاب فهو قصر المقالات وكثرتها فى وقت واحد ولو عنى المؤلف بان يوفى كل موضوع حقه من التعمق والتأمل والدراسة وحذف بعض الخواطر الشاردة التى لا ترقى الى مستوى الكتاب مثل يوميات حب التى أهداها الى ل•م•م اذن لجاء الكتاب على صورة أكثر روعة • وأخيرا فانني أتمنى لو يصرف المؤلف جهده أو بعض جهده الى كتابة القصة فان من يملك مثل هذا القلب الذكى والحس المرهف والخيال الخصب والقدرة على التعبير جدير لو أخلص لهذا الفن بأن يكون من طليعة كتاب القصة فى العالم العربى •

فهــــرس

مكتبة الأسرة



بسعر رمزى خمسون قرشاً

بمناسبة
مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٨

• إن الشباب هم حملة لواء الغد، وهم الذين سيجابهون تحديات المستقبل ولا سبيل لهم إلا بالتسلح بالثقافة والمعرفة، وهذه السلسلة من «مكتبة الأسرة» موجهة للشباب وقد حرصنا في الاختيار على تنوع العناوين لتقديم مكتبة للشباب فى السياسة والاقتصاد والعلوم والفكر والفنون .. هذه سلسلة تعنى بتثقيف الشباب فى كل المجالات

«اللجنة العليا لمهرجان القراءة للجميع»

مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب